مجلة
روايات احلام

١٠

بحر الهوى

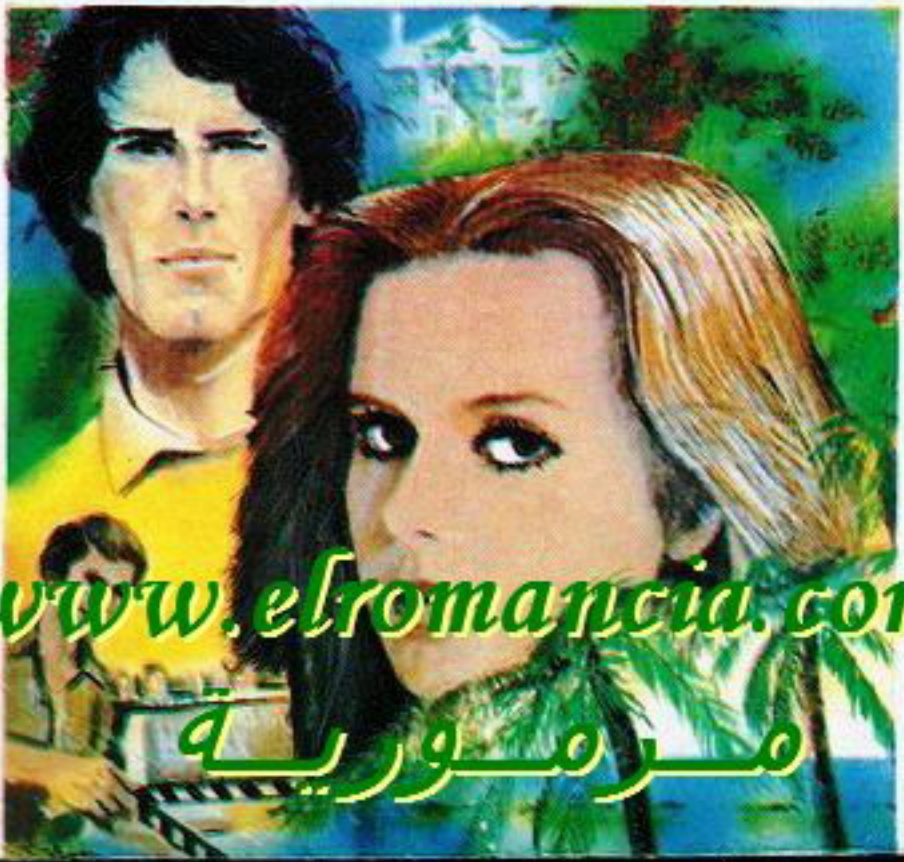

www.elromancia.com
مرمورية

مجلة روايات أحلام

كانت عيناه تلاحقانها... تتبعانها أينما حلّت. زملاؤه ينادونه بالرئيس، يدّعي بأنه يجوب العالم على غير هدى، وهي حائرة في أمره، تبحث عن حقيقة الرجل المختبىء خلف مظهره.

عندما عادت كاتي من عطلتها في جزر البهاما، التقته من جديد، لكنها ودّت لو أنها لم تواجه الحقيقة المؤلمة: أن الرجل الذي وهبته قلبها مختلف عن هذا الرجل المخادع القاسي كاختلاف الصيف والشتاء.

فلماذا فعل بها ذلك؟ لماذا أوقعها في حبه دون رحمة أو شفقة؟ خاصة أنه مرتبط بامرأة أخرى لا يريد، على ما يبدو، أن يتخلى عنها.

١ ـ لا كلام

أحست كاثي وهي تنظر إلى قاعة الانتظار في الفندق، بحثاً عن أصدقائها، أنها مراقبة. وبدل أن تلتفت لمعرفة مصدر القوة السحرية الصامتة الغريبة، تابعت البحث عن وجهين مألوفين بين هؤلاء السيّاح.

ولم تجد صديقيها، مع أنهما طلبا منها الانتظار في هذا المكان، وعليها الآن أن تتحرك... في سبيل الابتعاد... عمّاذا؟ التفتت أخيراً لأن الغريزة استولت على تفكيرها المنطقي وأجبرتها على النظر إلى ذلك الحضور فهي لم تستطع إيجاد وصف أفضل خاصة وهي تشعر بأن نظرات مقلقة تركز على التحديق فيها بطريقة مزعجة.

كان أول انطباع طالعها عن هذا الشخص الذي وتّر تحديقه إليها أعصابها صورة وجه ملتح، لرجل مديد القامة أكثر من الحد الطبيعي بقليل، ينسدل شعره الطويل بعض الشيء وينظر إليها بطريقة أخفقت قلبها من الانزعاج.

ورمقته كاثي بنظرة أملت منها أن تجمد الدم في عروقه. فكان رده أن لاحت على فمه ابتسامة بعدها ارتشف جرعة من كأس كان يحمله. كان يجلس على طاولة التقديم الطويلة المرتفعة في المقهى، ويستمر في التحديق إليها من فوق حافة الكأس.

لكنها لم تلبث أن أشاحت بصرها عنه بسرعة جعلت شعرها يتطاير... ثم أخذت تنظر إلى ما حولها مجدداً... ألن تأتي ڤيرا وادي أبداً؟ عادت أدراجها عبر الممر وصولاً إلى فناء المدخل. لكنها لم تجد لصديقيها أثراً. وبما أنها

اتفقت على لقائهما في مقهى الانتظار، فقد أجبرت نفسها على العودة إليه وقررت أن تتجاوز ذلك الغريب مشيحة بصرها عنه.

لكن الغريب ذا الشعر الأسود لم يكن قد تحرك. خوف غريب جعل كاتي تفتش عن مقعد فلما رأت طاولة فارغة ذات مقاعد ثلاثة تقع في الزاوية اليمنى للنوافذ الممتدة إلى السقف ولجت المقهى بشموخ بقدر ما أوتيت من شجاعة.

قسمت وقتها بين النظر إلى الممر، وبين النظر من النوافذ إلى الجبال البعيدة. كان خلف حدود الفندق عالم غريب ساحر. أمعنت النظر أكثر فأكثر متأملة الفيلات البيضاء الحديثة، والشقق السكنية المنتشرة على سفح التل إلى مسافات قريبة.

أحست بحركة قريبة منها، فاستدارت لترحب بصديقيها. ولكن الوجه الذي رد لها نظراتها لم يكن لأحدهما، بل كان لصاحب الجسد المديد النحيل الغريب وقد جلس في مواجهتها ماد الساقين تحت الطاولة الزجاجية بينهما.

حدّق إليها بثبات بعد أن ردّ رأسه إلى ظهر المقعد، وعقد ذراعيه قليلاً فوق قميصه الأبيض غير المزرر تماماً، كان يرتدي سروالاً ضيقاً... بدت أهدابه منخفضة إلى حدّ منع عنها رؤية الانطباع الذي تكوّن لديه.

لديه كل الحق في أن يكون حيث أراد. إذ لا قانون يحول دون تركيز بصره حيث يشاء... لكن ثمة قانون اجتماعي غير مكتوب يفرض على الإنسان عدم التحديق إلى الناس بهذه الطريقة الفظة لأن ذلك نوع من انتهاك خصوصية هذا الشخص.

مدت يدها عبر الطاولة لتتناول مجلة لكنها لما فتحتها وجدتها مطبوعة باللغة الإسبانية لغة أهل البلد. فأعادتها بسرعة، ونظرت إليه وكأنها تتحداه أن يضحك من جهلها.

لكن عينيه لم تبتعدا عن التحديق إلى وجهها لحظة. فجعلها ذلك تحمرّ

خجلاً أكثر مما لو ضحك. مدت يدها لتتناول مجلة ثانية بعد أن تأكدت من أنها مطبوعة باللغة الانكليزية. لكنها لم تستطع التركيز، فأخفضت المجلة إلى مستوى عينيها بحيث تستطيع النظر من فوق حافتها.

شعرت بالراحة لأنها استطاعت تأمل ذاك الغريب بحرية بعد أن تناول المجلة التي تركتها، وراح يقرأها وكأنه يعرف خير معرفة تلك اللغة. وربما يعرف تلك اللغة فعلاً. هذه الفكرة لم تخطر على بالها إلى الآن. ومع ذلك فثمة شيء ما فيه كان يلحّ على ذاكرتها... هل رأته في مكان ما من قبل؟ يا ترى هل شاهدت هذا الوجه الذي كسته اللحية سابقاً. كانت عيناه سبب إزعاجها ولا شك في أن فيهما مفتاح السر... ولكن أي مفتاح؟

سمعت صوتاً يناديها:

ـ هاي... كاتي... انزلي من عليائك وانضمي إلينا!

رفعت نظرها بدهشة، ثم أفسحت مجالاً لصديقيها للجلوس فلاحظت أن ذا اللحية مستغرق في قراءته. لكنه أشاح بصره عن المجلة ليحدق باهتمام صريح إلى الوافدين الجديدين.

كانت يد ادي تمسك يد ڤيرا وهما حديث العهد بالزواج فقد تزوجا منذ خمسة أسابيع، ولكن يبدو واضحاً من طريقة تلاعب ڤيرا بالخاتم في اصبعها أنها لا تزال تحس به جديداً.

منذ خمسة أشهر خططت كاتي مع صديقها مايك، لقضاء عطلتها مع ڤيرا وادي، لكن بعد أن انفصلت عنه، ألغى حجزه للعطلة. وقالت لهما كاتي يومها:

ـ ليس من المستحسن أن نكون ثلاثة فقط. سألغي حجزي أيضاً.

فقالت ڤيرا التي تعمل مع كاتي في شركة الاستيراد والتصدير نفسها.

ـ إذا ألغيت حجزك فسنلغيه نحن أيضاً. فهل تريدين إفشال عطلتنا؟

ما زاد الأمور تعقيداً قرارهما المفاجىء في الزواج. قال ادي وهو يضحك:

ـ لا عليك حتى يوم الإجازة نكون قد غدونا زوجين قديمين وعندها ستخفف صحبتك عني الحمل!

لكن نظرة واحدة إليهما الآن أعلمتها أنهما أصبحا بعد خمسة أسابيع من الزواج أكثر تعلقاً ببعضهما بعضاً. وأكثر شوقاً إلى الحب.

ومال ادي ليقول:

ـ نحن آسفان على تأخرنا في تبديل ملابسنا بعد السباحة... فأنت تعرفين النساء اللاتي لا يقر رأيهن على الفستان المناسب.

فأجابت ڤيرا محتجة:

ـ كيف تقول هذا وأنت من أخرني!

رفع ادي كتفه مبتسماً:

ـ أنت تفهمين كيف تحصل تلك الأمور.

فابتسمت كاثي:

ـ أتصوّر ذلك. تبدين رائعة في هذا الفستان يا ڤيرا. لقد كنا معاً ساعة اشتريته.

فهزت ڤيرا رأسها موافقة، ونظرها يبتعد عن كاثي، وعندما لحقت اتجاه عينيها اشتد وجهها احمراراً عندما وجدت أن الغريب ذا اللحية السوداء والشعر الأشدّ سواداً لم يحرك نظره عنها رغم وجود صديقيها.

والتفتت ڤيرا بحيرة إلى كاثي، التي شدت على شفتيها بقوة، لتظهر لصديقتها شدة غضبها من وقاحة هذا الرجل، همست لها ڤيرا:

ـ هل تريدين أن نرحل؟

كانت كاثي على وشك الموافقة عندما وقف الغريب الذي انحنى قليلاً لكل من ڤيرا وادي، ثم سار مبتعداً ببطء. سألتها ڤيرا وهي تنظر إليه:

ـ ما كل هذا؟ هل وجدت صديقاً جديداً؟

ـ لم أتبادل معه كلمة واحدة. فكل ما فعله منذ وصولي هو التحديق إلي وكأنني صورة على جدار... لقد أحرجني كثيراً...

قال ادي مبتسماً:

ـ لا شك في أنه معجب بك... ولو لم أكن رجلاً عجوزاً ومتزوجاً، لأعجبت أنا بك كذلك.

أمام هذا التصريح الجريء، مدت زوجته يدها لتشده من شعره.

كانت النباتات الاستوائية تزين فناء المدخل في هذا الفندق الضخم الذي صمم خير تصميم. عندما دخلوا المطعم لتناول العشاء تلك الليلة تقدمتها ڤيرا باتجاه طاولتهم التي اعتادوا الجلوس عليها.

واجهت كاثي في جلستها باب المطعم، كانت تصغي بعض الاصغاء إلى حديث رفيقيها، تضحك أحياناً، على أمل أن لا يلاحظا توجه نظراتها إلى أي ضيف جديد يفد إلى المطعم.

الرجل الذي كانت ترقب رؤيته، لم يدخل المطعم وحده، بل برفقة ثلاثة رجال كانوا جميعاً يرتدون الملابس الرسمية. ووجدت كاثي نفسها تمعن النظر أكثر فأكثر إلى هذا المظهر الجديد للغريب الذي لم تتركها عيناه لحظة، وها هو الآن يبدو أكثر غرابة لأنها لم تجد لشخصيته الأولى أي أثر.

ألقى نظرة سريعة إلى ما يحتويه المطعم ثم وكأنه قد علم ما يريده بعد ذلك مرت عيناه بكاثي وكأنها شجرة في غابة مليئة بالأشجار. أحست كاثي بالتوتر لأنه بدا وكأنه لم يتعرف إلى الفتاة التي حدّق بقسمات وجهها وقتاً كافياً لأن تطبع في ذهنه قسماتها جيداً، ولعل هذا ما أغضبها في نفسها إذ كان عليها ألا تعطي هذا الأمر كل هذه الأهمية.

أبعدت الرجل عن تفكيرها ثم أعادت انتباهها إلى رفيقيها، فعرفت من استغراقهما في الحديث معاً أنهما لم يلاحظا ابتعادها عنهما. فسألت:

ـ ما هو برنامجكما الليلة؟

فأجابت ڤيرا:

ـ كنا نتجادل بشأن هذا... أريد الجلوس في قاعة الاستراحة للقراءة.

سارع زوجها للقول:

ـ وأنا أريد أن أرقص... هيا... انظري إلى الأمر من وجهة نظري، بإمكانك القراءة في أي وقت.

ـ أتعني أن أدعك تنفذ ما تريد... حسناً... هذه المرة فقط.

التفتت إلى كائي:

ـ سنرقص، ولكن علي تبديل ثوبي.

ـ ليس مجدداً؟

فارتفعت يد ڤيرا لتملس شعره بحنان.

ـ ولماذا تظنني أحضرت كل هذه الفساتين إن لم يكن لارتدائها لك يا حبيبي.

فابتسم في وجه زوجته، ثم التفت إلى كائي قائلاً:

ـ أنت تعرفين متى تبدين أكثر جمالاً؟

فصاحت ڤيرا مدعية الفزع:

ـ ادي...!

فضحكت كائي، وأرجعت رأسها إلى الوراء، ثم قالت بخبث:

ـ لا... لست أعرف يا ادي... أخبرني.

فرد عليها ادي بنظرة تحمل الحرج، ثم مد يده لزوجته:

ـ هيا بنا ڤيرا... أنتما أيتها المرأتان ستسيطران علي!

نظر إلى زوجته نظرة ذات مغزى، فصاحت واعدة:

ـ سنعود بعد نصف ساعة يا كائي. وإذا لم يكن الرقص قد بدأ سنتناول شراباً. احجزي لنا طاولة في الزاوية إذا وصلت قبلنا.

نظرة إلى ساعتها أعلمتها أن النصف ساعة التي قدّرتها ڤيرا لتغيير ملابسها قد انقضت. قصدت قاعة الرقص وهي تأمل أن تجدهما بانتظارها هناك لكن أملها لم يتحقق فهي دائماً تصل قبلهما... أينما كان موعد اللقاء. لقد اعتادت على الانتظار. لكن الانتظار اليوم ملأها قلقاً...

بينما كانت تقف في الممر انتقلت عيناها إلى قاعة الرقص وإلى الطاولات التي رأت أن بعضها مشغول وبعضها الآخر فارغ وقد سرّها أنها وجدت إحداها

تقع في زاوية معتمة.

بينما كانت تتجه إلى تلك الطاولة لمحت مجموعة من الرجال يجلسون إلى إحدى الطاولات. كانوا أربعة، ولكن أحدهم بدا مميزاً بطوله الفارع وبدلته الأنيقة... وبلحيته السوداء...

جلست إلى طاولة معدّة لأربعة أشخاص ثم راحت تشغل نفسها في ترتيب محتويات حقيبة يدها. ولكنها بعد أن استنفذت كل الأسباب التي تحول دون أن تلتفت إلى ما حولها، أدارت رأسها إلى حيث الطاولة الطويلة في الزاوية. أملها في أن يكون الرجال الأربعة قد ذهبوا، خاب. فهم ما زالوا حيث هم في مكانهم لكن أحدهم كان يحدّق فيها الآن فسبب لها حرجاً شديداً جعلها تشيح بوجهها عنه وهي تتوسل بصمت أن يصل صديقاها ليريحاها من هذا الشعور الفظيع بالعزلة وسط حشد من الغرباء.

انجذبت عيناها من جديد إلى المجموعة التي بدا الآن أنهم جميعاً ينظرون إليها. فبعد أن حدثهم ذو اللحية بما تجهله التفت الآخرون إليها وهم يكملون الاصغاء إليه، وكان يحدثهم بأسلوب آمر محركاً يده بحسم متمماً كلامه وهم يهزون رؤوسهم مذعنين. فهل يستخف بها أمامهم؟ هل هذا سبب ابتساماتهم الساخرة؟ أحست بوجنتيها تحترقان... أيضحكون عليها لأنها تجلس وحيدة...

عندما شاهدته يدنو منها تحركت لتقف هاربة. لكنها أدركت أن هذه الحركة خالية من اللباقة أمام هذا الرجل ذي العينين الساخرتين والابتسامة الهازئة. عادت لتغرق في مكانها. وهي تضم يديها معاً لتترك نظرها يطوف عبر النافذة سعياً إلى منظر البحر المعتم وراءها.

صوت جرّ الكرسي من مكانه أجفلها من شرودها الزائف. فلما شاهدته ينظر إليها رافعاً حاجبيه سارعت إلى القول:

ـ أنا آسفة هذه الطاولة محجوزة.

- وهل تنتظرين صديقيك؟

كان صوته خفيضاً وعميقاً ولغته الانكليزية المفهومة أعلمتها أنها لغته الأم. وهذا يجيب عن سؤال تبادر إلى ذهنها بشأن أصله. لكن ثمة اسئلة كثيرة تحتاج إلى ردود. فماذا يفعل هو هنا، في هذه الجزيرة الجميلة الواقعة في جزر البهاما، على أرض قيل عنها انها جزء من القمر.

كما أن هناك سؤال آخر... لن تعرف ردّه... لماذا اختفى الرجال الثلاثة الذين معه بعد إشارة منه... انهم اصدقاء... أي أنهم متساوون مكانةً.

- أجل، أنا بانتظار صديقيّ... لذلك أنا آسفة، فهذه الطاولة محجوزة.

- وهل لديك صديقان؟

جلس على أحد المقاعد ثم أشار إلى ما تبقى وأكمل:

- لكن المقاعد أربعة.

- أجل... صديقان، لكننا نحب أن نبقى ثلاثة، لا أربعة.

عاودها الغضب الذي اعتراها بعد الظهر عندما حدق إليها. ابتسم وهو يسند ظهره إلى ظهر المقعد مخلّلاً يده في لحيته:

- لكن في هذه اللحظات، أنت وحدك فقط. وإلى أن يصل رفيقاك، لا أظنك تمانعين لو رافقتك...

كيف لها الرفض وله الحق في الجلوس حيث شاء. فهزت رأسها ثم لاذت إلى الصمت مترقبة بيأس الوافدين زوجاً زوجاً لكنهم جميعهم ما كانوا الزوج الذي تترقبه.

- هل لي أن أقدّم لك شراباً؟

سؤاله شد تفكيرها إلى وجوده. فردت عليه بصوت حاد أكثر من اللزوم.

- لا... شكراً لك.

وعادت لتهذيب الرد بإضافة:

- سانتظر إلى أن يحضر صديقاي. ولكن أرجوك اطلب ما تريد لنفسك.

رفع رأسه بسخرية ثم رفع يده طالباً الساقي وأعطى طلبه، متكلماً بإسبانية

طلقة أدهشتها. فهل كانت مخطئة بشأن هويته؟

- هل تتمتعين بإجازتك؟

جاءها صوته مع انبعاث الأصوات الموسيقية الصادرة عن الفرقة الموسيقية التي بدأت تعزف. وأزاحت كأس مزهرية الورود التي تتوسط الطاولة بينهما ثم أجابت:

- نعم... أظن هذا. لم نمض هنا سوى يومين.

لاحظت أن عيناه تحملقان في يديها فعرفت أنه يبحث عن خاتم له صفة خاصة. رفع بصره عن يديها ليحطه على وجهها:

- أتظنين فقط أنك تتمتعين؟ ألا تعلمين أن كل شخصين يشكلان رفقة ممتازة أما الثالث فكأنه شوكة في الخاصرة؟

ضحكت كأس حتى ارتد رأسها إلى الوراء، فتركزت نظراته على قسمات وجهها ثانية. لكنه لم يشاركها الضحك. أحست بالصدمة تسري في عمودها الفقري وقد لاحظت فجأة شدة وسامته. فكرت... لو أنني فقط أتمكن من رؤية وجهه، لو أن وجهه متحرر من اللحية والشاربين... يوماً ما... ستقنعه امرأة ما بأن يزيل كل هذا. تمنت دون أن تشعر بأن تكون هي هذه المرأة...

وُضع ما طلبه أمامه، فنقد الثمن فوراً مرفقاً بعلاوة لا شك أنها مرتفعة نظراً للانحناءة التي قام بها الساقي له.

قالت موافقة:

- الثالث شوكة في الخاصرة... لكنني استبقيت ألمها لنفسي.

- لا بد أن هناك سبب.

قالت له على مضض:

- لقد انفصلت عن صديقي، فألغى حجزه للإجازة.

ضاقت عيناه لحظة، ثم ابتسم وعلّق:

- وهذا ما تركك وحيدة.

- لقد اسأت التقدير حولي مرة أخرى سيد... أنا آسفة، لا أعرف اسمك.

- باركوا جريج باركو... وقبل أن تسألي، انه اختصار لاسم جريجوري... وأنت كاثي. لقد سمعت صديقاك يناديانك، كاثي ماذا؟

- لونرغان.

ولم تزد... يبدو أنه يعتبر بأن أمامه صيداً ثميناً فهي دون رفيق، وهذا يعني أنها عرضة لملاحقاته، فسألته:

- هل زوجتك معك سيد باركو؟ أو ربما صديقتك؟

فابتسم وكأنه فهم صدها له.

- لا... للسؤالين.

اندفعت عيناها نحو المدخل، لتجد ادي هناك يبحث عنها. أما هو جريج باركو فتبع اتجاه نظرها...

قالت له وهي تقف:

- أرجو أن تعذرني.

شقت طريقها بين الجموع... وعندما واجهت ادي قال:

- آسف يا كاثي، لن تنضم إليك الليلة، هل لديك مانع؟

ابتسمت:

- دعك مني يا ادي... سأكون على ما يرام. لدي رفيق هو ضيف لم أدعه، لكن بالنسبة للظروف الحاضرة، لا بأس بوجوده.

- أليس هو ذلك الرجل الذي لم يرفع عينيه عنك طوال العصر؟ حسناً، على كل الأحوال من المفترض أن تكوني على ما يرام، اتركيه بحيرة. وبعيداً عنك.

فضحكت كاثي:

- أهذه نصيحة من العم ادي؟ حسناً... أعرف تماماً كيف اعتني بنفسي خير عناية.

- سنراك اذن صباحاً ساعة الفطور.

راقبته يبتعد وهي تشعر بأنها عرضة لخطر داهم. فكل الناس حولها يمرحون ويضحكون أو يرقصون أما هي فتبدو الشاذة الوحيدة بينهم. ما كان

يجب أن ترافق صديقيها في هذه الرحلة. أما الآن فالخير لها العودة إلى غرفتها. تحسست حقيبتها لتكتشف أنها نسيتها وأن عليها العودة إلى الطاولة في مطلق الأحوال.

سألها جريج باركو:

- ألن يأتي صديقاك؟

- لا... ولقد عدت لأستعيد حقيبتي... هذا غريب... لقد ذهبت! هل رأيت من أخذها؟

لم يرد على سؤالها، بل سألها:

- وهل تسمحين لي أن أحل مكانهما؟

- ولكن يجب أن أجد حقيبتي... أرجوك أتساعدني؟

فابتسم وكأنه يتمتع بحيرتها:

- أجيبي عن سؤالي أولاً... ثم أجيب عن سؤالك.

- اوه... أجل... أجل...! والآن قل لي هل رأيت حقيبتي؟

- لقد اتفقنا أولاً على أن أكون رفيقك الليلة. صحيح؟

ردت بنفاذ صبر بهزة من رأسها... فأكمل:

- ثانياً، أجل لقد رأيت حقيبتك. لقد شاهدت يداً أخذتها.

- ولكن ألم توقفها؟

كان يستند إلى الكرسي، ماداً ساقيه عاقداً ذراعيه وابتسامة تريح الخطوط حول فمه. عزفت الموسيقى وبدأ الراقصون بالرقص فقال بهدوء:

- اليد التي رأيتها... كانت يدي... أتريدين حقيبتك؟ ها هي تفضلي.

سحب الحقيبة من جيبه، ثم أمسك يدها بشوق.

- لماذا فعلت هذا؟ ألا تعرف أنك بذلك تخيفني؟

غاصت في المقعد. فمال إلى الأمام، وأطبق يديه فوق الطاولة. تراقصت عيناه البنيتان بمرح أم بسخرية يا ترى؟

لم تستطع أن تحدّد انطباعه جيداً بسبب هذه اللحية التي تخفي انفعالاته. قال لها:

- أنت إحدى اثنتين إما ممثلة قديرة أو أن ذاكرتك بحاجة لتحليل.

- عمَّ تتكلم؟ أتعني أنني أردت إيجاد عذر للعودة إليك مستخدمة حقيبتي لهذا الغرض؟

- أنا أميل إلى هذا التفسير.

دفعت كاثي كرسيها إلى الوراء ووقفت، فأمسك ذراعها يحثها على الجلوس.

- لقد وافقت على أن تكوني رفيقتي الليلة يا كاثي، ألا تذكرين؟

بدا لفظه اسمها غريباً، ومغرياً. كما أن الشعور الذي أحسته عندما لمسها كان له تأثير صوته الخفيض العميق، دقت في داخلها أجراس الخطر فهي فتاة في الثالثة والعشرين من العمر وهذا يعني أنها قادرة على فهم ما يسعى إليه.

ولكن من يدري، فلعلها بعد أمسية واحدة برفقته تفضل البقاء وحيدة اثناء العطلة. أعجبتها هذه الفكرة التي عنت على بالها ثم قررت الموافقة على السهر معه لتتجنب اسئلته.

- هذه الأمسية فقط... سيد باركو.

- هل ترين أن قضاء بضع ساعات برفقتي ستكون أفضل من قضاء الأمسية وحيدة؟

هزت رأسها مبتسمة فكان منه أن راقب الابتسامة دون أن يردها بأخرى ووجدت هذا تجربة غريبة. فالرجل يثير فضولها. ثمة غموض غريب حوله خاصة وجهه المختبىء خلف هذه اللحية. قال لها:

- هل آتيك بشيء تأكلينه؟ أم ببعض الشراب؟

- لا شيء... شكراً.

- ألن تناديني جريج؟ ألا يمكنك هذا؟

كانت عيناه تضحكان فاشتدت خفقات قلبها وهي ترد له ضحكته.

- قد أقدر... هل لي أن أحاول؟ جريج.

- عظيم... إنها تتكلم لغتي!

تمنت لو تعرف المزيد عنه، عدا تلك اللكنة الخفيفة في كلامه... سألته:

- أنت انكليزي؟

- انكليزي؟ ولي اسم كهذا؟ يا إلهي يا امرأة... أنا إسباني! فخور بما ورثته والآن هيا بنا يا جميلتي كاثرين... هيا بنا نرقص.

خلع سترته ليضعها حول الكرسي، ثم تقدم ليقف قربها. بعد هذه الدعوة، علمت أنها لن تستطيع الرفض، فليس ذلك فحسب بل أنها ما عادت ترغب في الرفض، فلمسة يده لجيدها جعلتها ترغب بالمزيد من اللمسات. التقطت حقيبتها ثم نظرت إليه وإذ بقلبها ينقلب رأساً على عقب. أحست بالهزيمة أمامه، لكنها قالت:

- أنا آسفة... لا أرغب في الرقص.

اشتدت ذراعه حول خصرها.

- اوه... لكنني أرغب في الرقص.

أخذ حقيبتها من يدها ليدسها في جيب سترته:

- ستكون بأمان هنا.

أحست بالروعة بأن تكون بين ذراعيه... ولكنه لم يقفل المسافة بينهما، بل كانت يده على ظهرها ممدودة بينما الأخرى متشابكة مع يدها. ابتسم لها، لكنها أحست بالقلق الشديد حتى عجزت عن رد ابتسامته... فقال بصوت منخفض:

- هوني عليك كاثي... فأنا لا أخدعك. فتحت هذا المظهر رجل صادق شريف نظيف.

فضحكت كاثي:

- أنت تصوِّب إلى الهدف جيداً. فهل هذا مؤثر على كل نسائك؟

اجتاحت قسماته الجدية:

- أتقصدين أن ذلك لم يكن له أثر عليك. صدقيني أنه ليس من عادتي إقامة علاقة قصيرة ملائمة مع النساء.

سمعا تصفيراً خفيفاً من جانبهما فالتفتت كاثي حيث أدار جريج نظره. فإذ

بأحد رفقائه الثلاثة يرفع إبهامه عالياً، فصاح بهم بلكنته الإسبانية الصريحة:

- اوتش... اغربوا عن وجهي.

ابتسمت كاثي لهم أولاً ثم لجريج.

- لماذا يضحكون، ألم يسمعوك تتكلم بهذه الطريقة من قبل؟

- قلة من الناس يسمعون هذه اللهجة مني... لكنك تخرجينني عن طوري.

أحنت رأسها إلى جانبها متسائلة:

- كيف؟

- تجعلينني أرغب في تمثيل دور الأبله وما ذلك كله إلا لإرضائك وإضحاكك.

في كلماته مغزى، ولكن هذا المغزى ضللها. وهي لو حاولت التفكير فيه، فستقلق. وأرادت أن تسأل: لماذا... لماذا؟ ولكن كل ما قالته كان:

- أحب الضحك لأنه يجعلني أحس بأنني على ما يرام.

- إذن علي مضاعفة لعب دور الأبله.

كان كلامه خفيضاً، عذباً، وهو يحني رأسه لتستقر شفتاه على شعرها دون أن تعترض مع أن المنطق يقتضيها ذلك. قالت لعقلها الباطن مدافعة: هذا يعجبني... وهو يعجبني كذلك.

سألها:

- هل صديقك في شهر العسل؟

- نعم... ولا. لقد كانا مخطوبين عندما حجزنا لهذه الرحلة. ثم قررا فجأة منذ خمسة أسابيع الزواج.

- ألا يزعجك أن تكوني الشاذة بينهما؟

نظرت إليه، ثم قالت دون أن تعي الحزن في كلامها:

- وما رأيك؟

- رأيي أنك تبدين كالحمل الضائع.

فضحكت:

- لكنني لست كذلك الآن. ليس وأنا...

أدركت ما كانت على وشك أن تقوله، فأشاحت بوجهها عنه:

- انس الأمر.

توقفت الموسيقى لكنه لم يتركها. بل ركز عينيه على عينيها المرفوعتين إليه:

- انسى ماذا؟ وكيف أنسى وأنت معي؟ كوني نبيلة واعترفي أنني على صواب.

- أنت رفيق طيب.

فضحك عالياً:

- هذه مراوغة تعتمدها المرأة التي لا تريد الاعتراف بأن رجلاً يعجبها!

- ولكنك تعجبني حتى الآن... ولكن... ولكن ألا تظن أن هذا مناف للعقل قليلاً؟ لقد التقينا بعد ظهر اليوم. ولا أعرف شيئاً عنك. على الأقل أنت تعرف أنني في إجازة. بينما على ما أظن أنك لست كذلك.

لم تكن كاثي تتوقع هذه التغطية.

- ومن أخبرك أهو حدسك!

- هل هو حدسي؟

ابتسمت له ثم عاودوا الرقص، وقد عاد إليه مرحه، فقالت:

- لقد كنت على حق إذن... أنت هنا للعمل لا للهو؟

- صحيح. أنا هنا للعمل... وللهو. ولِمَ لا يكون لي ذلك وأنا في جزيرة لها هذا المناخ الرائع وهذه المناظر الخلابة؟

- وبماذا تعمل؟ هل تمانع لو سألت؟

- في الاستيراد والتصدير والأعمال الحرة... تمويل مشاريع وما شابه.

- أعرف ما يعني هذا. فأنا أعمل في شركة استيراد وتصدير... تدعى ايستمان كوربريشن العالمية. أتعرفها؟

- وكيف لا أعرفها وأنا أخوض في ميدان هذا العمل؟ هل مقر عملكم في نيويورك؟

- أجل. . . وأنت أين مقركم؟
كان في رنة صوتها لهفة غريبة، فابتسم لها:
- العالم كله مقر لي.
- أوه. . . لشركتنا فروع في لندن وباريس أيضاً.
- هل قصدتها يوماً أم تفضلين العمل في نيويورك؟
- للعمل في نيويورك أفضلية، لكنني مع ذلك أحب العمل في بلد غريب عني.

توقف الكلام بينهما قليلاً، فلاحظت انه ضمّها إليه أكثر. . . كانت التجربة مثيرة لها، ذاك أن جسدها كله قد عادت إليه الحياة فلفته إثارة غريبة وتسارع فيه كل شيء.

أقلقها الاضطرار إلى الاعتراف بأن هذا الغريب هو مصدر انتعاشها لكن ما الفائدة وهي تعلم أنها بعد هذه الليلة قد لا تراه ثانية.

●●●

٢ - محيط القلب

عندما انتهى الرقص، أمسك يدها ليجرها نحو الباب:
- أرغب في تغيير المنظر فهل لديك اعتراض؟
- لدي شعور بأن لاعتراضي أو لعدمه النتيجة نفسها. فأنت لا تهتم أبداً باعتراضي.
بدت الفكرة مسلية له. . . فسأل:
- ما الذي جعلك تعتقدين ذلك؟
وصلا إلى المصعد، وتوقفا بانتظار وصوله فنظرت إليه مفكرة:
- لست أدري. . . ثمة شيئاً بشأنك.
وصل المصعد، فولجاه. . . واستمرت:
- يراودني الشعور بأنني رأيتك في مكان ما.
ضغط على الزر.
- صحيح؟ كنت على موعد غرامي معك يوماً؟ ربما تكونين إحدى النساء المنتشرات في ماضيّ؟ لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً، وإلا لتذكرتك، دون شك في هذا.
- أعرف. . .! في مجلة. . . لا. . . ليس. ليس في مجلة ولكن في شيء مشابه.
خرجا من المصعد. . . وهي تردف:
- ولكن هذا ليس صحيحا كذلك. فلك لحية، تلك الصورة التي أفكر فيها، لم يكن لصاحبها لحية.

- لو كنت مكانك لتخليت عن التفكير.

كان يسير بسرعة حتى اضطرت إلى الركض. كانت الأنوار داخل المطعم خافتة لكن الناس كانوا يعجون فيه.

عندما وصلا إلى شرفة مسقوفة معتمة كادت الريح توقف أنفاس كاثي، فتمنت عندها لو أنها جلبت معها سترة، ارتجفت لكن جريج لم يلاحظ. لأنه غرق في تأمل الطبيعة المحيطة بهم مع أنه لم يبدُ وكأن أفكاره منصبة على التلال المظلمة من الحمم والرماد البركاني الخامد التي تتشكل على شكل أسنان منشار عن بُعد.

الصوت المنبعث من المطعم كان يكسر الصمت الذي بدا لكاثي عميقاً بشكل غير عادي. فالمدينة تصعّد أصواتها الخاصة التي تناقض صمت التلال البركانية البعيدة التي لا تبعد سوى رفعة نظر إلى البعيد. سألها جريج:

- كم من الجزر شاهدتِ؟

- بقدر ما يمتد نظري بعيداً عن هذه الشرفة في ضوء النهار. أما باقي الوقت فقد قضيته على الشاطىء.

- لتكتسبي لون الشمس؟ أمن أجل الاستلقاء على الشاطىء جئت إلى هذه الجزيرة؟

- أنا واحدة من ثلاثة، وإذا وجدت نفسي ضمن الأقلية، فأنا مضطرة للذهاب معها... أليس كذلك؟ مع أنني أشك في أنهما يريان في هذه الأيام أحداً سواهما وفي هذه الظروف الراهنة كان لطفاً منهما أن يتركاني أتعلّق بأذيالهما.

- وهل تحبين أن «تتعلقي بأذيالهما»؟

أحست بأن عليها قول الحقيقة:

- أنا... لا. لا أحب ذلك. لكنني لا أحبذ الذهاب إلى أمكنة برفقة حشد من أناس لا أعرفهم، مهما أظهروا من ود.

بقي بضع لحظات صامتاً لا يجيب لكنه لم يلبث أن استدار ليسند جسده

إلى جدار الشرفة ثم ابتسم:

- إذن أنت لا تتمتعين بإجازتك... فلما لم تلغي الإجازة مع أنك كنت على علم مسبق بأنك ستكونين وحيدة دون رفيق.

- لقد عرضت هذا لكنهما أصرّا عليّ مرافقتي. بحجة أنهما بعد خمس أسابيع من الزواج سيكونان زوجين قد ملا بعضهما بعضاً، لكن الذي وجدته أنهما ازدادا تعلقاً حتى باتا لا يقدران على إشاحة أنظارهما عن بعضهما البعض.

التفتت إليه ضاحكة، فرأت أن رأسه ارتدَّ إلى الوراء من الضحك وسألها:

- هل أنت حقاً دهشة كما يبدو في صوتك؟ إن كنت كذلك فأنا دهش خاصة وأنك كنت على علاقة مع رجل مؤخراً.

أصبحت وجنتيها بحمرة الغسق.

- نعم كنت على صداقة معه لكنه لم يكن يوماً حبيباً... وإن كنت تشك في قولي فلك ذلك، لكنني لا أقول إلا الحقيقة.

تقدم نحوها، ليرجع شعرها الذي طار به الهواء إلى الخلف، ولكن الخصلات عادت فوراً. فابتسمت له من خلالها، فكان أن امتدت يداه، معاً هذه المرة، لتعيدا الخصلات إلى مكانها، ثم أمسك وجنتيها براحتيه ليرجع وجهها إلى الوراء قليلاً، ثم جذبها إليه.

كان عناقاً من النوع الذي يقول «أنت هنا وأنا هنا كذلك». لم يكن فيه أي غاية أو استغلال لها في سبيل المزيد من التعارف. ولهذا تمتعت به، مسرورة في حين كانت الريح تهب عليهما نافخة تنورتها، مداعبة شعره. قال لها بنعومة:

- أنت فتاة طيبة صغيرة.

كانت لهجته مشبعة بلكنته الإسبانية التي أطلق لها العنان دون اكتراث، فضحكت له، وهي تسأله سؤالاً يوحي بأن جزءاً منها يمزح والجزء الآخر يلح في معرفة الحقيقة.

- كم امرأة قلت لها هذا خلال رحلاتك؟

خاطبت نفسها قائلة: من الخطر الإعجاب كثيراً بهذا الغريب الحاد العينين، الجذاب. ومن الغباء الكامل التمتع بعناقه كما فعلت.

لكن سؤالها لم يرق له وقد بدا ذلك ظاهراً في الطريقة الغريبة التي انخفضت فيها حرارة عينيه. لكن ابتسامته لم تلبث أن عادت إلى توهجها وهو يجيب:

- المئات إن لم أقل الآلاف. فنسائي ينتشرن فوق كل البسيطة.

لا شك في أنه شعر بتصلب جسدها، لذا شدّها إليه أكثر فأكثر ثم مدّد يديه فوق ظهرها، أرجفتها لمسته لكنه حسب أن الريح هي السبب لذا أحاطها بذراعه الأخرى.

قال لها بلهجة هادفة بشكل غريب:

- كنت أمزح. فليس من عادتي التجول في العالم سعياً إلى التقاط النساء لأنال منهن ما أريد، ومن ثم لأتابع بعد ذلك مسيري.

نظرت كاتي في عينيه وهي تحس بشيء من الأسى يلف نفسه حولها وكأنه نفحة ريح. قالت:

- لكنك ستجعل مني استثناء لهذه القاعدة؟

قال بلهجة جادة جداً:

- وهل ترغبين في هذا؟

- أنت بالتأكيد تعرف الرد على سؤالك.

- أملتُ بعد تشجيعك إياي بأن يكون ردك «نعم».

انسحابها السريع من بين ذراعيه لم يعطه الفرصة إلى منعها من الابتعاد عنه.

- أنا آسفة لأنني أوحيت إليك بهذا الانطباع.

بدا على صوتها الصدمة، وقد التفتت لتحدق إلى الظلمة:

- لست أفهم لماذا لا تستطيع امرأة ابداء إعجابها برجل دون أن يأخذ هذا الأمر على محمل خاص.

بقي يمعن النظر فيها فترة طويلة تبعها بقوله:

- إذن انت معجبة بي... وهذه بداية جيدة. هيا بنا سأرافقك إلى غرفتك.

لف ذراعيه على كتفيها فسارت معه وهي تسأله:

- بداية ماذا؟

دخلا المصعد.

- بداية صداقة يبدو كأن لها قيمة غالية لك.

وجدت أصوات الراقصين في الغرفة المكتظة، وأصوات الموسيقى التي تزايدت حدتها، متنافرة جداً مع الهدوء الذي كانا في رحابه.

قال لها وهو يدخل قاعة الرقص:

- تعالي معي... سأحضر سترتي.

بينما كانا يجتازان القاعة باتجاه طاولتهما شاهدت أحد اصدقائه يعود من حلبة الرقص وذراعه تلتف حول كتفي فتاة جذابة. رفع هذا الرجل يده بالتحية وناداه:

- مرحباً أيها الرئيس.

لم يرد جريج لكنها سألته ما إن وصلا إلى الطاولة:

- أحد اصدقاؤك ناداك.

كان يُخرج حقيبتها من جيب سترته، ويمدّ يده إليها... فأجاب:

- وهل فعل؟

ثم أمسك بيدها ليخرجها من طريق آخر، فسألته وهي تسرع لتتابع خطواتها مع خطواته:

- لماذا... ناداك بالرئيس؟

في المصعد، أخذ ينظر إلى الإعلانات الملصقة على جدران المصعد:

- يجب أن يكون أحدنا مسؤولاً عن العمل في مرحلة ما.

- أتعني أنك أنت المسؤول؟

- مكتبي لا يحمل لائحة تقول «الرئيس» ولكن من المعروف تماماً عموماً أن هذه صفتي.

فابتسمت، وسألها مقطباً:

- لماذا ابتسمت؟

- ابتسمت لمعرفتي أن الرجل المرموق يحتاج إلى امرأة مرموقة لمرافقته. وهذا يعني... أنك ستبتعد عني بعد هذه الأمسية، باحثاً عن أنثى أرفع مستوى من سكرتيرة وضيعة. ولكن قد تكون محظوظاً، لأن لا نساء يعتلين مراكز نافذة حتى في أيامنا هذه.

وأدارت المفتاح في القفل وفتحته. ما إن وضعت قدمها في الداخل فاضاءت الغرفة حتى أمسكها بكتفيها، ثم نظر يمنة ويسرى في الممر، ودفعها قليلاً أمامه. عندها انغلق الباب وحده.

قال لها بعد أن أدارها لتواجهه:

- لا تهزئي بي عن طريق تسجيل النقاط، خاصة إذا كان الموضوع الذي تحاولين التذاكي فيه بعيداً عن معرفتك. فالرجل المرموق لا يفتش عن مثيلته بل عمن هي أدنى منه مستوى خاصة عندما يكون بعيداً عن موطنه... إذن تعالي إلى هنا يا ذات المستوى الوضيع، ودعيني أتذوق طعمك عن قرب.

حاولت كاثي التخلص، لكن ذراعيه التفتا حولها. فصاحت به:

- لا تقم بهذا! أنا لست كما تظن.

سحق عناقه كل اعتراضاتها، فأخمدت قوته فيها كل أثر للمقاومة حتى استسلمت أخيراً مجبراً إياها على الاسترخاء، طالباً منها الاستجابة التامة التي دفعتها أخيراً إلى أن تشهق التماساً للرحمة.

عندما رفع عينيه وجدتهما مليئتين غضباً... أحست بالارتباك. إنها هي المعتدى عليها، ألا يجب أن تكون هي الغاضبة؟

تسارعت نبضاتها لا غضباً بل إثارة مما فعله بها فقد أذكى لهيب النيران في داخلها... انبأها عقلها بأن ذراعيها ما زالتا تلفان عنقه عندما سارعت إلى سحبهما ثم راحت تبحث عن حقيبتها التي وجدتها قد وقعت أرضاً.

أما ذراعاه فكانتا على خصرها فلمّا ردّت بصرها إليه، اكتشفت أن المرح، الممزوج بالسخرية قد عاد إليه ثانية. قال بنعومة:

- لقد وجد الرجل الرفيع المستوى امرأة رفيعة المستوى لكنها تبدو دون طموحات إدارية. حسناً يا كاثي، ما هو ردك نعم أم لا؟

دون تفكير، مررت اصبعها على شاربه لتخففه نحو لحيته وتسأله دون أن تلتقي بعينيه:

- لماذا كل هذا؟

- ولماذا لا؟

- لماذا؟... للإجابة عن سؤالك أقول «لا» أنا آسفة.

فتركها وابتعد ثم فتح الباب ليسير في الممر، بعد أن تركها منزعجة.

جلست كاثي وحيدة على طاولتها... طبقها مليء ببقايا فطورها الذي تناولته لتوها. وفنجان الشاي فارغ على الصينية... منذ فترة طويلة تخلت عن التفتيش عن صديقيها، لعلمها أنهما تناولا فطورهما في غرفتهما.

ولكن عينيها استمرتا في المراقبة، بحثاً عن الرجل الطويل الأسمر الذي وجدت نفسها تفكر فيه أضعافاً مضاعفة، وهذه الأفكار رفضت الإصغاء للعقل أو المنطق. فبعد رفضها له ليلة أمس، أكدّت لنفسها، وبثبات، بأنها لن تراه ثانية.

خرجت إلى الممر القصير الذي يقود إلى المدخل الرئيسي للفندق. فوجدت صديقيها ينزلان السلالم المستديرة يداً بيد، مسرعين إليها وعلى وجهيهما اعتذار صادق. لكن كاثي بدلت ابتسامتها العريضة بأخرى فاترة فهما وإن كانا في شهر عسل عليهما معرفة أنها وحيدة في هذا المكان. ألا يقدران على بذل شيء من الجهد ليصحباها كما حدث في بداية الرحلة؟

سألها ادي:

- أليس معك رفيق؟ لقد ظننا أننا نصنع خيراً بتركك معه وحدكما.

لاحظت ڤيرا تقطيبة كاثرين فأضافت:

- أنت تعلمين، كنا نحاول تركك تضعين خططك وحدك.

حاولت كاثي تجاهل خفقان قلبها، فقالت:

- إذا رغبتما في البقاء وحدكما فلا تقلقا علي. سأكون سعيدة كل السعادة قرب المسبح وحدي.

فصاحت ڤيرا:

- ولكن هذا ما كنا ننويه.

لم تكن كاثي في الواقع ترغب في قضاء يوم آخر تحت الشمس. فالمناظر الغريبة والغامضة حولها كانت ايماءاتها لا تقاوم، لكنها كانت تعني ما تقول لجريج بشأن إحساسها بأنها وحيدة وسط جمهرة من السواح الغرباء. لكنها قالت لڤيرا:

- سأصعد لأرتدي ثوب السباحة. ثم انضم إليكما في البقعة ذاتها.

وجدت ثياب صديقيها قرب الصخور البركانية الناتئة من البحر، تشكل حاجزاً صغيراً فوق الرمال الذهبية. فجلست كاثي هناك، ووضعت حقيبتها المحتوية على ثيابها ومناشفها قربها. لم يكن من الصعب عليها اكتشاف مكان ڤيرا المرتدية ثوباً قرمزياً. أما زوجها فكان غير بعيد عنها.

صاح صديقاها بالتحية وهي تتقدم لتغمس جسدها في البحر، ثم تسبح. وبعد فترة وقفت لتتأمل ما حولها فإذا بها تجدهما فعلاً عائدين إلى الشاطىء. راقبتهما وهما يلعبان فوجدت من الأفضل أن تعطيهما مزيداً من الوقت يقضيانه وحيدين لذا استلقت على ظهرها تطفو على وجه الماء تاركة لعينيها أن ترتويا من زرقة السماء الصافية. بدا لها من هناك شجرة نخيل عالية تمتد أمامها على مدى نظرها ثم راحت تتأمل التناقض في ما بين الصخور البركانية الخشنة وبين الشجيرات الخضراء اللماعة التي تمتد من حافة الرمال إلى مدخل الفندق.

بعد أن رأت أنها قد منحتهما وقتاً كافياً قررت العودة إليهما فلما دنت منهما أحست بحرارة الرمال تحت قدميها. مدت يدها إلى المنشفة مبتسمة لهما وهما مستلقيان معاً برضى.

لقد انتصف الظهر، وها هي مستلقية إلى جانب صديقيها. تراقب، بشيء من الحسد، مواكب سيارات السياح المنطلقة بهم نحو التلال.

دون أن تعي راحت عيناها تبحثان عن جريج باركر مع علمها بأنها لن تجده. فكيف لرجل له تلك الجاذبية أن يزعج نفسه ثانية بالسعي إلى فتاة رفضت صحبته بأسلوب فج كما فعلت هي؟

لما بدا لها أن ڤيرا وادي نائمان. وقفت كاثي ببطء وهدوء لتربط شعرها الذي ما زال مبللاً من جرّاء سباحتها الأخيرة. اتجهت نحو الصخور التي أحست بها خشنة تحت قدميها ويديها. اثناء تسلقها كانت تتساءل عن الحكمة في تسلق مثل هذه الصخور الحادة الخشنة.

بعد أن وجدت مكاناً مريحاً، نوعاً ما، للجلوس، غطست قدميها في بركة ماء صغيرة، ممتعة النفس ببرودة الماء على قدميها وبحرارة الشمس على ظهرها. بينما كانت هناك سارحة صاح بها أحدهم فالتفتت تنظر إلى صاحب الصيحة. كان رجلاً يقف على مقربة منها على الرمال أشقر الشعر مرتدياً قميصاً أبيض قصير، وسروالاً قصيراً، حافي القدمين، باسم الوجه وكأنه يعرفها.

سرعان ما عرفت كاثي هذا الرجل فابتسمت له ثم استدارت لتعيد بصرها إلى المياه الصافية. فهذا الرجل لسبب ما تجهله وجدت نفسها ترغب في تجاهله لئلا يلاحقها لكنها في هذه اللحظة رأت أن تفكيرها السليم يخبرها بأنها على خطأ في ما تفعل. بعد قليل سمعت وقع خطوات تخطو خلفها تبعها صوت رجل مال ليجلس قربها:

- وحدك؟

بقيت صامتة.

- أتتمتعين بإجازتك؟

فهزت رأسها وهي تراه مصراً على محادثتها، لكن ألا يصرّ كل الرجال على ملاحقة الأنثى؟ فتابع:

- يا لحسن حظك... أنا هنا للعمل.

كان عليها أن ترد بعد أن تأملته ملياً:

- لا يبدو عليك ذلك.

فضحك، وقد سره أنه انتزع منها الكلمات:

- ألا نحتاج جميعاً إلى المرح؟

ولم يتلق رداً، فتابع:

- لا تبدين وكأنك تمرحين كثيراً. بإمكاننا المرح معاً؟

لمس ذراعها... فابتسمت كأني لنفسها وقد رأته يسعى إلى معرفة أخلاقها. ممتحناً بذلك استعدادها واستجاباتها له. فما كان منها إلا أن انسلت إلى المياه مبتعدة عنه فصاح الرجل:

- هاي... لا تتركيني هكذا ونحن لم نتعارف جيداً!

أخذت تراقب الآثار التي تتركها قدماها على الشاطىء، وصاحت من فوق كتفها:

- أشكرك على ما تقدمه من تسلية لكني أحب أن أكون وحدي، مع صديقاي.

وصل إليها ليسير إلى جانبها فتابعت وهي تبتسم:

- لا أبحث عن علاقة عرضية... آسفة.

بحثت عن رفيقيها فوجدتهما قد ذهبا، أحسبا أنهما يتصرفان بذكاء الآن؟

أطلق الرجل تنهيدة:

- آه... حسناً. لا يمكن للمرء الربح الدائم.

رفع يده محيياً ثم انطلق في حال سبيله.

التقطت كاثي منشفة لتجفف قدميها وساقيها. ثم دون قصد منها التفتت إلى الوراء فإذا بها تجد رجلاً يشير بإبهامه إلى الأسفل، علامة الفشل، إلى رجل، أطول منه وأنحف، ذي جسد أسمر أدكن ولحية طويلة تغطي جزءاً كبيراً من وجهه.

كان ينظران إليها ويتحدثان. وكان جريج باركو يهز رأسه بينما الرجل يكمل كلامه عندما شعرت بالغضب يجتاح نفسها فهو كما يبدو واضحاً لها كل

الوضوح إن ذاك الرجل كان يمتحنها مستخدماً زميلاً له طعماً لها!

أدارت لهما ظهرها، وهي تشد على شعرها أكثر من الحد المفروض لتجفيفه... لكنها فجأة أحست بيدين تستقران على يديها، تثبتهما وتضغطهما على قمة رأسها. فوقفت بسرعة متصلبة وهي لا تكاد تقوى على التنفس. مضمومة الشفتين... يا لوقاحته! كيف يجرؤ على العودة لمتابعة علاقتهما من حيث توقفت ليلة أمس!

دون سابق إنذار استدارت مبتعدة عنه لتحدق فيه مخاطبة:

- الآن. بعد أن امتحنتني بواسطة ذاك الرجل الذي تسيّره كما تريد وجدت أخلاقي رفيعة فقررت منحي السعادة برفقتك ثانية!

أنزلت المنشفة عن رأسها لينسدل شعرها إلى كتفيها، ثم أردفت قائلة:

- اسمع يا هذا أنا لا أرغب فيك رفيقاً... لذا الخير لك أن تنصرف لتعرض صحبتك على امرأة أخرى وهن كثيرات كما تعرف.

بدت عيناه باردتين وكأنهما تأخذان برودة الريح، ثم استدار على عقبيه وصعد المنحدر الرملي، مستوي الظهر معتدل القوام.

ها هو يبتعد... وعليها أن تواجه أمر خروجه من حياتها نهائياً. في هذه اللحظة شعرت بالانزعاج من فكرة خسارته بسبب كبريائها الغبي، لكنها رأت أنها أكثر غباءً لأنها سمحت له بأن يصبح، في وقت قصير، مهماً إلى هذا الحد في حياتها.

- جريج... لا تذهب...

خرج منها الرجاء دون أن تعي فكان أن لعنت نفسها مئات المرات لأنها كشفت عن ضعفها أمامه. هذا الضعف الذي سيكون له سلاحاً لا شك في أنه سيستخدمه.

وقف في مكانه مستمراً دون أن يلتفت. أما هي فحبست أنفاسها تنتظر منه متابعة الطريق، لكنه فاجأها بالتفاتة إليها لكنه بقي بعيداً عنها وهو يسأل:

- لماذا؟ أأفيدك حارساً لك أم رجلاً يتم عددكم إلى أربعة؟... أم لعلك

قررت أن نكون ثنائياً منفصلاً معاً؟

جرّدتها تصرفاته الباردة وهجومه الساخر من القدرة على الرد فها هو شهر في وجهها السلاح الذي زودته به! وبعد لحظات سوف يطلقه نحوها.

- أنت تعجبني يا جريج... لقد قلت لك هذا... وتعجبني صداقتك.

لكن قلبها أخبرها بأنها تشعر أكثر من الصداقة بكثير. إلى أين سيوصلها غباءها الذي جعلها تتعلق بأذيال رجل للمرة الثانية وبهذه السهولة؟ ألم تحفظ أمثولتها جيداً عن عدم مصداقية الرجال بعد ما فعل مايك بها؟

لكن هذا الرجل يختلف عن مايك في كثير من الوجوه. وما عليها سوى الوقوف على مقربة منه لتشعر بموجات القوة المنبعثة منه، إنه كالصخرة التي تحافظ على حرارة الشمس وقتاً طويلاً بعد أن تغرب.

تقدم منها، فأحست به، وبقوته، تلفانها، دون أن يلمسها حتى ابتسم لها، فعمت السعادة قلبها وشعرت بأن الحواجز كلها تزول بينهما.

عندما فتح لها ذراعيه قرمت نفسها بينهما، حتى استراح خدها على صدره. راحت لحيته تغرق جبهتها. دفعتها جانباً ثم ابتسمت له قائلة:

- إنها تعيق طريقي... لماذا لا تحلقها؟

نظر إلى البحر، ثم إليها:

- هذا ما لن أفعله!

- لكنني أريد رؤية الرجل المختبىء خلفها.

ملأت الابتسامة وجهه:

- قد لا يعجبك ذلك الرجل.

- بل ربما «أحبه».

تلوّت على وجهه لمحة عزلة، ثم ذهبت:

- وهذا ما لن يكون يا فتاتي الطيبة الصغيرة لأنك على الأرجح ستكرهين ذلك الرجل.

ضمها إليه بشغف، ثم أبعدها قائلاً:

- لا أريد أن تفوتني ابتسامتك التي أريدها أن تحيط قلبي.

- إلى متى تريدها أن تحيط به؟ أإلى الأبد؟

- إلى الأبد.

فابتسمت رغم شعورها بالاضطراب:

- ألن ترميها بعيداً. بعد انتهاء العطلة عندما سنفترق أو عندما تتزوج فتكون لك عائلة؟

نظرت إلى لحيته الكثة وكأنها غابة مظلمة تطبق عليها مانعة عنها النور... كانت وكأنها تبحث عن مستقبل ليس موجوداً هنا. قال لها:

- لقد قلت لك إنني أجوب العالم... فماذا يمكن لرجل مثلي أن يفعل بزوجة وأولاد؟

إنه سؤال يصعب أن تجيب عنه لذلك أغمضت عينيها لتخفي الألم السريع الذي اجتاحهما. أما هو فخفف قبضة ذراعيه اللتين تلفانها فالتفتت لتعرف سبب فعله ذاك فإذا بها تجد صديقاها يراقبانهما وكأنهما على وشك إظهار ذكائهما مرة أخرى، فما كان منها إلا أن سارعت إلى رفع ذراعها ملوحة لهما قائلة:

- إن صديقيّ واقفان هناك...

- اتركيهما وشأنهما، ألا ترين أنهما لا يرغبان إلا بالبقاء معاً. لا شك في أنهما مسرورين لأنك وجدت لك رفيقاً.

بدا صوته فظاً، فرفعت نظرها إليه. لكنها رأته ينظر إلى البحر ثانية، ثم، دون أن ينظر إليها أخذت يده تطوف على ظهرها العاري وكأنما أفكاره كانت تسبب له ألماً. بدا لها وكأنه بحاجة إليها... أو لأي امرأة كي تخفف من آلامه.

وعى أخيراً ما كان يفعل، فتوقفت حركة يده، ثم استراحت راحة يده على كتفها. نظر إلى عينيها الحائرتين فسألته:

- جريج... من كنت تلمس الآن؟ لم يكن أنا... لا يمكن... لقد كنت بعيداً عني... أهي فتاة كنت تعرفها؟

فابتسم:

- ويا لها من فتاة كنت أعرفها.

فهزت كاثي رأسها، آملة أن يعرف بأنها تتفهم أن نواياه لم تكن لإثارتها، بل هي رد فعل على التفكير في امرأة أخرى يفتقدها.

جلست أمام أغراضها. تبحث في حقيبتها عن مشط. أما هو فجلس بجوارها. ثم مدد ساقيه الطويلتين وأسند جسمه إلى مرفقيه. لملمت كاثي خصل شعرها لتربطها إلى الخلف. ودون أن تدير رأسها سألته:

- هل أخذت إجازة من العمل؟

مرر اصبعه فوق عمودها الفقري من الأعلى إلى الأسفل ثم عكسياً، مما جعلها تستوي في جلستها ثم تستدير مبتسمة فقال بصوت صارم:

- أنا المسؤول، لذا لا أحتاج إلى إذن.

أخذت كاثي ترسم الخطوط فوق الرمال، وقالت:

- لا بد أن من الرائع أن تستطيع القول: صحيح يا رجال... أو أيها الفلاحون أو أيها الحثالة، أو أي شيء يقوله الرؤساء لأتباعهم...

امتدت ذراع مثل الخطاف وبقوته لتلتف حول عنقها وتجذبها نحو صاحبها:

- لك وقاحة الشيطان، آنسة لونرغان. بِمَ تخالينني أنادي الرجال العاملين معي؟

أمسكت أصابعها ذراعه:

- جورج، تيد، دايفد، وكيف لي أن أعرف؟ أرجوك اتركني.

مرر يده الأخرى على مقدمة جسدها لتستقر على خصرها:

- أنت حفنة من البهجة الكاملة.

جذب رأسها نحوه ليصبح نظرها أعلى منه. كانت عيناه في شبه إغماضة يقفز وينضم إلى سرعة نبضاتها في سباق نحو خط النهاية. سألته:

- كيف لك أن تعرف؟

ثم أدركت قوة التحدي الذي رمته في وجهه.

حاولت الاحتجاج وهو يديرها بين ذراعيه، ثم استلقت مقطوعة الأنفاس إلى جانبه فوق الرمال. ضربات قلبه ملأت أذنيها، وكانت قد أحست بها تضج تحت ملمس يديها على قفصه الصدري فسارع إلى الإمساك بيديها ليغطيها براحتيه ثم استلقيا معاً بهدوء يصغيان إلى الأمواج المتكسرة على رمال الشاطىء وإلى أصوات الناس الآتية من بعيد عبر الريح.

قالت له:

- أنا عطشى.

فأدار وجهها وقبلها:

- هذا أفضل؟

قاومت لتفلت منه:

- أجل... أجل، ولم أعن هذا، وأنت تعرف!

استند إلى مرفقه ليبتسم لها. بعد أن بحثت في حقيبتها نظرت إليه.

- ألا تزعجك لحيتك في هذا الحر؟

- هذا من شأني... أليس كذلك؟

في لهجته حسم وحزم لا شك فيهما. فعبست مضطربة فلما رآها قد توترت حاول أن يلطف الأجواء.

- قلت لك إنك لن تعجبي بالرجل المختبىء تحت هذا الدغل.

أخرجت من حقيبتها زجاجة ماء معدني كبيرة وقالت:

- هذا هراء كامل. فأنت ستظل الرجل نفسه بلحية أو بدونها.

- لقد ظننتك عطشى.

فابتسمت، وفتحت الغطاء عن الزجاجة.

- أوافق على تغيير مسار الحديث.

بينما كانت ترفع الزجاجة إلى فمها توقفت قائلة:

- لم أحضر معي كوباً. فهل تمانع فيما لو بدوت سيدة غير أنيقة للحظات؟

تدحرج على جانبه ليسند رأسه إلى يده.

ـ أتعرفين شيئاً؟ ليتك تعرفين كم أحب ألا تكوني أنيقة لا للحظات فحسب بل لوقت أطول خاصة في الوقت الذي نكون فيه في ظلام يدثره البدر من حولنا.

ردها الوحيد كان الابتسام، ثم الشرب من فم الزجاجة. عندما رفعتها عن فمها أحست بالمياه تتساقط فوق ذقنها. فانشغلت في البحث عن منديل ورقي، فلم تلاحظ يداً ضخمة سمراء، تمتد، إليها، تمسح البلل عن وجهها، ثم تجففها بقميصه.

ـ شكراً. كنت لأقوم بهذا العمل بنفسي. إلا أنني لم أرغب في إهانة مشاعر الرجل الحساس الذي يقبع تحت لحيتك.

قفز إلى ركبتيه ليمسك بخناقها:

ـ أيتها العفريتة اللعينة!

التقت عيناهما، وبدأ شعور مختلف يساورهما... ومرت الثواني... وأنفاسهما تزداد تقطعاً وتهدجاً وأعصابهما يتضاعف توترها. شفتاهما ترتجفان انتظاراً... انتظار ماذا؟

مرت اللحظة دون أن يُقدم على شيء وإذ به يعود إلى وضعه السابق، فتناول منها الزجاجة التي قدمتها إليه ثم ارتشف منها بعض الرشفات.

أعادت كاثي الزجاجة إلى الحقيبة. ثم حدقت في البحر جالسة محتبية. لقد بدأت تحس بالسعادة التي يسببها وجود هذا الرجل التي لا تكاد تعرفه في الواقع مع أن شيئاً في داخلها يُشعرها وكأنها تعرفه منذ سنوات سنوات. لكن أيشعر هو بما تشعر هي؟ ربما من الغباء الاعتقاد بأنه يكن لها شيئاً خاصاً فهي ليست سوى امرأة أخرى في لائحته الطويلة.

تملكها الفضول لتعرف إلى أين وصلت أفكاره. التفتت إليه، فابتسم. بالنسبة له يبدو أن التهاب المشاعر بينهما قد خبا. ومع ذلك فهي لا تزال تحس بالعلامات اللاذعة في محيط قلبها.

٣ ـ لا أمس أو غد

وقفت كاثرين في غرفتها تنظر من خلال النافذة المفتوحة ذات الستائر المتلاطمة إلى البحر الذي أوشك على أن تعمّه هدأة الليل وعتمته.

لم يبرح تفكيرها ساعة افتراقها عن جريج الذي طلب منها تناول العشاء برفقته، لكنه في الواقع لم يكن طلباً لأنها عندما أخبرته بأنها ستتعشى مع ڤيرا وادي، أجابها بخشونة مؤكداً على أنها لن تتعشى معهما الليلة.

كانت في كل الأحوال لا ترغب في الجدال معه لذا لم تعقب على تأكيده مع أن عقلها حذرها من مغبة الوقوع في ورطة تشبه تلك التي وقعت فيها مع مايك. فالخير كل الخير لها في إبعاد هذا الرجل عنها أميالاً وأميالاً. لكن شيئاً ما في داخلها طلب منها أن تُترك وشأنها فهي لا تبتغي أكثر من صداقة في هذه الإجازة. «وإذا خسرت قلبي... فهو قلبي... وأنا حرة به...».

عندما اتصلت بڤيرا، ابتهجت بالخبر، فقالت:

ـ لقد وقع في حبك يا كاثي... بعد أن راقبناكما بعد الظهر، استطيع أن اؤكد لك هذا يا عزيزتي... ثقي بعمتك ڤيرا فهي تتعرف إلى الحب من أول نظرة!

وأنكرت كاثي، لكن ڤيرا تمنت لها التوفيق... بعد فترة وجيزة نظرت إلى ساعتها، فهي تعد الثواني والدقائق حتى تحين لحظة لقائهما. إنها تبذل قصارى جهدها لئلا تبدو عليها اللهفة. ومع ذلك فقدماها تحسان بالشوق إلى ملامسة أرض المصعد... لكن لماذا تتأخر... أتعالياً وتكبراً؟

لكن الفراق وشيك فلم يبق لها إلا القليل والقليل من الوقت لتكون بصحبته... بعد لحظة كانت توصد باب غرفتها وتتجه نحو المصعد. ما إن خرجت منه حتى وجدته بانتظارها... شاهدها... ولن تنسى أبداً لمعان عينيه، أو ابتسامته المشرقة التي اضاءت قسمات وجهه وهي تقترب منه. أخذ يدها اليمنى بيده اليسرى، جذبها إليه.

أرجعت رأسها إلى الوراء، تسأله:

- هل سأكون الوحيدة الغريبة على طاولتك التي تضم أربعة، بدل طاولتي التي تضم ثلاثة.

- هذا صحيح... ولكنك ستضطرين إلى الجلوس على ركبتي، هل لديك مانع؟

فضحكت... ثم راحت تؤرجح يديها الرطبتين دليل السعادة. ما إن ألقت نظرة سريعة حتى علمت أن صديقيها لم يصلا. سألته:

- أين هم زملاؤك؟

- هناك عند طاولة الشراب الكبيرة.

قادها إلى طاولة تقبع في الظل، فلما جلست سألته:

- هل كنت لتصحبهم لو لم تلتقِ بي متخذاً إياي رفيقة عطلتك؟

كانت تقصد إثارته. لذا انتظرت منه رداً سريعاً لاذعاً لكن رده أدهشها:

- كنت لأصحبهم لو لم تأسرني فتاة ذات نظرة تائهة تقبع في رحاب عينين زرقاوين ساحرتين.

- أنا اخترتك؟ لكنني وجدتك تنظر إلي نظرة... لم تعجبني.

بعد أن رأى الغضب يعلو وجهها.

- لكنك أحببتها... كوني صادقة. لقد أرضت غرورك الأنثوي، مجرد معرفتك أن رجلاً قد رغب فيك بعد انفصالك عن صديقك. وهذا بحد ذاته حدث جارح.

رمقته من فوق لائحة الطعام:

- اوه؟ كيف؟

- الانفصال عن رجل مهما كان لا شك في أنه مدمر.

راحت تدرس لائحة طعامها دون أن تقرأ كلمة، ثم أجابت:

- لقد سمعت هذا من قبل ولست أدري، ربما لك تجربة من هذا النوع؟

ساد صمت طويل، لم تجرؤ خلاله على النظر إليه. لأن سؤالها كان فظاً فيه قلة أدب فهي إلى الآن لا تعرفه معرفة تخولها الحكم على ردة فعله. قال أخيراً بعد أن استطاعت استراق النظر إلى تعابيره التي بدت حازمة:

- اقترح خلال هذه الفترة أن نقبل بعضنا بعضاً على ما نحن فيه.

- دون ماضٍ أو مستقبل؟ فقط الحاضر؟ لا أمانع في هذا!

لكن قلباً كان يقول: بل أمانع... أمانع. غطت شفتيها المرتجفتين بلائحة الطعام. لكن ما أدهشها سماع صوته العملي:

- حسناً... فلنقرر ماذا سنأكل.

وجدت كاثي صعوبة في فهم الكلمات الإسبانية المدونة على اللائحة، فتخلت عنها قائلة:

- اختر أنت يا جريج فلا شك في أنك تعرف طعم كل هذه الأطباق المسجلة في هذه اللائحة من الغلاف إلى الغلاف.

تقدم الساقي بعد أن استدعاه جريج فراح يدوّن بسرعة طلباتهما على دفتره الصغير في هذه الأثناء تحوّلت أنظار كاثي عنه، فشاهدت صديقيها، اللذين شاهداها في اللحظة نفسها فلوحا لها معاً أما ڤيرا فخصتها بابتسامة مشجعة.

راقب جريج ما يجري بابتسامة، بعد لحظات كان الجميع يبذل جهده للتظاهر بأن الزوج الآخر غير موجود.

- يبدوان سعيدين بإبعادك عنهما.

جعلتها برودة كلامه ترتجف:

- ألهذا تقضي وقتك معي؟ ألتفسح المجال في إبعادي عن ازعاج الطرف الثالث، والاهتمام بمتطلباتهما؟

- ألهذا السبب تحسبيني صادقتك؟

- صادقتني؟

كان يجب أن تُبقي السؤال في سرها، لأنها بسؤالها هذا كشفت كرهها لهذا.

- أليست الصداقة هو ما تقدّرينه أكثر بين الرجل والمرأة؟

مع رجال آخرين، ونساء أخريات... ربما... ولكن ليس معك أنت ومعي أنا... لكنها قالت ببرود:

- أظنك تصادقني... لأنك مللت صحبة زملائك و... أحسست بالحاجة إلى صحبة امرأة.

بدت عيناه للحظات قاسيتين لكنهما لم تلبثا أن استرختا مع أن كلماته بقيت مصدر عذاب:

- يا لذكائك في استنتاج هذا لكنني سأرد لك تقديرك المفعم بالشكوك. فأنا أظن أنك تسمحين لي بالتودد إليك لملء الفراغ، مؤقتاً، بعد خسارتك صديقك.

حدّثها بلهجة تحد لم تستطع الرد عليها. فكان أن استبدلت الرد بالقول:

- ألم نتفق... بلا ماضي أو مستقبل؟

- يا لمراوغتك؟ في البداية تطلقين في وجهي لكمة تحد، ثم تراوغين عندما أردها وتعرضين علي يدك طلباً لهدنة.

تناولت الطعام بشهية، ثم ابتسمت عبر الطاولة وقالت:

- لكن ألستُ فتاة طيبة صغيرة وذكية؟

كان كلامها تقليداً رائعاً للكنته الإسبانية باللغة الانكليزية... فضحك بصوت مرتفع. ثم توقف ليرفع الشوكة المليئة بالطعام إلى فمه.

- يجب أن أدربك كي تحسني لكنتك الإسبانية.

تابع الطعام.

- التدريب ليس ضرورياً... فوجودك معي وتحدثك إلي بهذه اللكنة ستجعلني أتكلم بعد فترة وجيزة اللغة نفسها.

ابتسامتها كانت باردة وهي تتلفظ الرد، ثم وضعت الشوكة من يدها وقالت

متجهمة:

- أرجو أن تنسى ما قلته.

استعادت قسماته الدفء... فرفع كوب شرابه:

- لا بد أن ذاكرتي قد توقفت عن العمل... لا أمس... أو غد. فلنشرب نخب الحاضر في هذا المكان وفي هذه اللحظات.

رفعت كوبها وشربت.

اثناء احتسائهما القهوة سألها:

- أتحبين أن يصحبك في هذه الجزيرة مرشد سياحي ذا خبرة متواضعة؟

برقت عيناها:

- أتعني أنك ستأخذني؟

- اضبطي أنوار هاتين العينين الساحرتين في كل مرة تنظرين إلي وسألبي لك أي شيء تريدينه يا فتاتي.

مدت يدها لتغطي يده فوق الطاولة:

- جريج... إذا صحبتني لرؤية الجزيرة، فسأحبك إلى الأبد.

- وهل ستحبينني؟ هيا بنا إذن... فالوعد بحياة كاملة بين ذراعيك أروع من أن استطيع مقاومته.

حاول النهوض، فضحكت كاثي:

- أنت تعرف أنني لا أعني هذا في هذه اللحظة؟

أمعن النظر مليا في شفتيها المنحنيتين المنفرجتين ثم ارتفعت كتفاه:

- إذن علي الانتظار إلى الغد، لبدء حياتي الجديدة.

- لكن فرص الحياة انتهى أوانها.

- أجل... انتهى أوانها.

قال تلك الكلمات ثم ارتشف ما بقي في كوبه من شراب.

اثناء مغادرتهما المطعم التفتت إلى صديقيها لتلوح لهما فإذ بهما قد غادراه، لكنها لمحت احد زملاء جريج، وهو ذاك الرجل الأشقر نفسه، فأشار بإبهامه إلى الأعلى إشارة النصر. استدارت مضطربة لتجد أنه كان يراقب ما

يجري بدوره. فقالت له:

- أتمنى لو أن صديقك هذا يتوقف عن هذه الإشارة. ولا بد أن لها سبب، هل يشجعك؟ هل تراهنت معه على أنك ستحصل علي قبل نهاية العطلة؟

أصبحا في المدخل، ابتسم لها وهما يسيران جنباً إلى جنب:

- لا... ولكنك أوحيت إلي بفكرة.

جذبت يدها من ذراعه واتجهت نحو السلم، دون أن تبتعد التفت ذراعه حول خصرها، فاضطرت للتوقف.

قال بلكنة قوية غير مفهومة:

- ألا يمكنني المزاح معك؟

سرعان ما تبخر غضبها فكان أن ضحكت له والتصقت به، عندها ارتفعت ذراعاه تلقائها وارتفعت ذراعاها تلقائه أيضاً. تلاشت الأصوات القريبة لكنها عادت فشعرت بالمرح.

- ماذا ستفعل الليلة؟ هل ستذهب إلى الرقص؟

- إذا كان هذا ما ترغبين فيه؟

- لا تهتم بي، لقد وافقت على العشاء فقط. وإذا أردت الرقص ثمة فتيات كثيرات مستعدات إلى مشاركتك الرقص.

- لكن هذه الفتاة الوحيدة هي كل ما أحتاج إليه.

انسحبت بعيدة عن ذراعيه متجهة إلى السلم:

- آسفة ولكن «هذه الفتاة الوحيدة» ليست لتلبية حاجاتك، إنها ذاهبة إلى غرفتي.

ارتقى السلم إلى جانبها، دون أن يقول شيء، أو يشير إلى نواياه. عند قمة السلم الثاني، انقطعت أنفاسها من سرعة القلق، وسعيها إلى البقاء على ذات المسافة منه. عندما توقفا التفتت إليه.

- أشكرك على مرافقتي إلى هنا كما أشكرك على العشاء.

فضحك، بعد أن خمّن نيتها:

- لا بأس... لقد تمتعت بهذا.

قصدت غرفتها وحدها ثم راحت تبحث عن المفتاح في حقيبتها، لكنها وجدته يقول لها:

- اسمحي لي.

أخذ المفتاح منها ثم فتح الباب. التفتت إليه قبل أن تدخل متمنية له ليلة سعيدة...

عندما دخلت واستدارت لتوصد الباب، وجدته قد أوصده لها ثم استند إليه، ويداه في جيبه، يحدق إليها ثم سألها:

- أتريدينني أن أخرج؟

نظرت إليه عبر المرآة أمامها وأجابت ببطء:

- بإمكانك البقاء قليلاً... على أن لا تعتبر ذلك دعوة مني إلى بقائك... أو... إشارة... إلى أنني مستعدة... أو راغبة... في...

انتزع نفسه عن الباب ليسير فوق السجادة باتجاه أبواب الشرفة المفتوحة وهو يقول:

- لن اسيء الظن.

وقف في الشرفة ينظر إلى الخارج فانضمت إليه، عندها أفسح لها المجال للوقوف قربه. ولم يكن قد لامسها، لكنها أصبحت متناغمة معه تحس بأنهما متلامسان.

لم يكن تفكيرها يتسلل نحو عاطفة عميقة، بل نحو حاجة، حاجة مؤلمة لأن تحس به... صحيح أن معرفتهما لن تمكث سوى فترة عابرة لا تعدو أن تكون أياماً قليلة، لكنها ليست معرفة بسيطة أبداً فهذا المزاح وهذا العناق وذاك الضحك. لا يمكن تسميته إلا بأنه معرفة تبهج القلب وتسره.

- كاثي...؟ صديقاك هناك في الأسفل.

جذبها صوته من تفكيرها، فمالت فوق سياج الشرفة لتراقب صديقيها اللذين يتسلقان الصخرة ذاتها التي تسلقتها في وقت سابق من النهار، فعلقت قائلة:

- إنهما كطفلين صغيرين.

- أحس أن في لهجتك شيئاً من الحسد.

تطاير شعرها وهي تلتفت منكرة قوله، لكنها عادت فهزت كتفيها.

- لقد وجدا سعادتهما معاً. وأنا سعيدة لأجلهما... فكل ما أتمناه أن تدوم علاقتهما.

- الأمر الذي لم يتم معك؟

- إذا كنت تشير إلى صديقي السابق، فنحن لم نُكِنَّ هذه المشاعر قطّ.

- ألهذا تركك إلى فتاة أخرى؟ إلى فتاة مندفعة وجريئة؟

- أي عكسي، كما أعتقد أنك تشير؟ ولكن بإمكاني الضحك وبإمكاني أن أجعل نفسي بلهاء كما يفعلن.

- أنا واثق من هذا.

قال قوله ذاك بلهجة حانية فصدمها تلطيفه اجواء غضبها:

- لو أردت أن تعرف، فالفتاة التي ذهب معها سادية النزعة لا تطاق. لكنه أحب هذه السادية.

- بعض الرجال يحبون ذلك... لكنني عكسهم تماماً.

ارتد رأسها إلى الوراء لتتمتع بالنكتة وقالت:

- حقاً؟ لقد كدت تخدعني.

- قد أجعلك... تدفعين ثمن سخريتك... لكنني لن أفعل. على الأقل ليس بعد.

أحست بالرجفة تسري في عروقها من مرأى منظره وتحسس كلماته.

بعد سكوت قصير سألها:

- أين تسكنين؟

- في الضواحي الغربية لمدينة نيويورك... بيتي لا يبعد عن مكان عملي كثيراً.

- هل تعيشين وحدك؟

لم يتبادر إلى ذهنها أن تذكره بأنهما اتفقا على نسيان الماضي. التفتت لترد تطاير شعرها.

- كنت أعيش مع ثيرا في شقة مؤلفة من غرفتين إلى أن تزوجت. أما الآن فأنا أعيش هناك وحيدة... وأنت أين تعيش يا جريج؟

شعرت في هذه العتمة وكأن عينيه قستا.

- أخبرتك بأنني أجوب العالم.

- لكن لا شك في أن لك منزلاً مستقراً... طبعاً؟ سقف فوق رأسك. أم أنه سقف شخص آخر؟

استدار نحوها ببطء، فلاحظت ضيقاً في عينيه:

- بالنسبة لمعرفة عابرة، أنت تسألين الكثير من الاسئلة الدقيقة فلا حق في أن تسأليني عن المكان الذي أضع فيه رأسي المتعب؟

هل يعلم بالضبط كم المها رده؟

- لقد سألتني الاسئلة ذاتها تقريباً. ومع ذلك لم اقطع رأسك! بل اجبتك بكل أدب ولباقة.

مدّ ذراعه إلى يدها التي تناولها ثم جذبها إليه بيد ورفع إليه ذقنها بيد أخرى:

- أرجو قبول اعتذاري... الا أستحق بسمة؟ كي أضيفها إلى مجموعتي الخاصة!

- ماذا ستفعل بالمجموعة؟ هل ستضعها في «البوم» كما يفعل جامعو الطوابع؟

- تعجبني هذه الفكرة، كما تعجبينني أنت.

تجاهلت كلماته وتابعت الحديث:

- إذن عندما نفترق، ستنتزعها من البومها الخاص لتضعها مع مثيلاتها من ابتسامات النساء الأخريات، بل ربما مع ابتسامات المرأة التي قد تحبها إلى درجة الزواج منها.

اشتدت اصابعه على ذقنها حتى أوشكت على أذيتها:

- الحب إحساس لا يُناقش.

جرّها إلى الغرفة ثم أوصد الأبواب وجذبها إليه معانقاً. قوة ضغطه جعلت

رأسها يرتدّ إلى الخلف حتى اضطرت إلى التمسك بكمي سترته. راحت اصابعه تداعب ما بدا من عنقها من خلال ياقة الفستان... كانت يده باردة مثيرة كل الإثارة تجول فوق جسدها إلى أن استقرت على كتفها، بدا وكأنه يتوقع منها نفضها بعيداً فلما لم تقم بأي حركة تابعت أنامله التغلغل في حنايا جسدها حتى شهقت كائي.

ارتدّ رأسها إلى الخلف تهمس باسمه. لكن رده كان أن جذبها إليه ثانية يعانقها بتلهف في حين راحت يداه تمتلكانها وتغيظانها بقسوة تامة.

في هذه اللحظات لم يعد يهمها أنها تجهل كل شيء عنه فكل ما تعرفه الآن كان إحساسها القوي به هذا الإحساس الذي لم تشعر به تجاه أي رجل في حياتها. فلمسته تثيرها وشخصيته ترمي حولها شباكاً ورديا تعزلها عن العالم وتغرقها في عالمه هو.

أخيراً تركها لكنه لم يترك يده القابضة على يدها. قال بصوت مهتز:

- أجد أنني لن استطيع مقاومتك.

- لست أدري كيف يمكنك قول هذا ونحن لم نلتق إلا أمس.

- لكنني لم استطع نزع نظري عنك منذ رأيتك. فما رأيك بهذا الانجذاب منذ النظرة الأولى؟

- بدأ تعارفنا أمس ومع ذلك أشعر وكأنني أعرفك منذ زمن بعيد، بعيد. لا يجب أن نتورط كثيراً فليس من التعقل أن نلتقي ثانية.

عادت ذراعاه ترقدان خلف ظهرها، تجذبانها إليه أكثر فأكثر:

- لماذا المقاومة؟ لدينا بضعة أيام ننتزعها من الزمن. هذا كل ما سيكون الأمر عليه... فالجاذبية موجودة بيننا فاستسلمي يا كائي.

أمسكت يداها بكتفيه:

- لقد تخطيت منذ فترة وجيزة ألم الهجر. لقد كان مايك لطيفاً، رائعاً، تأكدت الآن أنه لم يكن يناسبني... ومع ذلك فقد تألمت... ولا أريد المزيد من الألم يا جريج.

أصبح جدياً كل الجد:

- وهل تلمحين إلى أنك ستتألمين عندما سنفترق حتى وإن كانت معرفتنا لم تدم إلا يومين؟

نظرت إليه مفكرة، لو قالت «أجل» فسوف تبوح بسر لم تكن قد باحت به حتى لنفسها... وإذا أجابت «لا» ستكون كاذبة. ولهذا لزمت الصمت.

لم يقطع هذا الصمت، بل استمر في التحديق إليها، ولكن أمام عينيها الفائقة الحساسية، بدا لها متراجعاً في نفسه... كان وكأنه يبتعد عنها... لذا اندفع خدها ليجد صدره.

تحركت يداه اللتان راحتا تلمسان كل موقع مثير في جسدها، كما فعل تماماً عندما كانا على الشاطىء خلال النهار... أحست بالإثارة، فمدت يدها إلى يديه لتوقفهما على خصرها، وكأنها تحاول تقديم الراحة له.

لكنه بلطف أبعدها عنه... وقال، أمام خيبة أملها:

- عمت مساء يا كائي.

عندما ابتعد عنها أحست بالفراغ والهجر.

- هل... هل سأراك في الغد؟

فابتسم:

- فتشي حولك... فقد تجدينني.

نهضت كائي باكراً... ارتدت سروالاً أبيض، وقميصاً مشمشياً مستدير الياقة وسترة بيضاء.

لكن ما أدهشها أنها وجدت ڤيرا وادي ينتظرانها في ردهة الفندق. بادرتها ڤيرا:

- أرجو أن لانكون قد اخطأنا يوم أمس في المطعم؟

قال ادي:

- بدوتما حميمين جداً معاً... حتى ظننا أنه لمن المخجل إزعاجكما.

فابتسمت:

- لا بأس... ولاكن صادقة أقول انه قد سرني أن تخمينكما كان صحيحاً. فنحن... أقصد أنه يعجبني.

كيف لها أن تعرف إذا كان يبادلها الإعجاب؟ لقد قال الكثير من كلمات الغزل لها. ولكن كل الرجال يفعلون هذا عندما يرغبون في امرأة...؟ سألتها ڤيرا:

- هل سترينه اليوم؟ أعني ثمة وقت محدد لمقابلته.

فتدخل زوجها:

- أتعلمين ما يقال: حب الإجازات لا يدوم.

فضحكت كاثي، ثم صمتت بعد أن شاهدت الرجال الأربعة لكن ما آلمها أن جريج بدا وكأنه لم يرها لذا نظرت إلى صحنها الفارغ:

- أجل... سأراه... إنه هناك، غارق في ما يشبه المؤتمر مع زملائه.

فسألها ادي:

- زملاؤه... أتعنين أنه هنا في عمل؟

- هذا صحيح... إنه يعمل في مجال الاستيراد والتصدير وتمويل المشاريع. وزملاؤه ينادونه بالرئيس... لقد سمعتهم.

- رئيس ماذا؟ من أين هو؟

فرفعت كتفيها:

- لقد سألته. لكنه لم يخبرني. بل قال إنه يجوب العالم.

- ربما يكون مستشاراً مالياً... يؤجر خبرته. لذا يضطر إلى أن يكون دائماً في مواقع العمل حيث يحتاجون إلى خبرته.

سألتها ڤيرا:

- هل سمع بالشركة التي نعمل فيها... ايستمان كوربريشن؟

فهزت كاثي رأسها وقررت أن تدير دفّة الحديث إلى قناة أخرى آمن من هذه فقالت:

- سأطلب طعام الفطور... هل سترافقينني؟

كان عليهما للوصول إلى طاولة الخدمة الذاتية، المرور بالرجال الأربعة الذين بدوا غارقين في نقاشهم. ملأت طبقها، ثم عادت ثانية للمرور بهم وهي على استعداد تام لتجاهله لها للمرة الثانية، لكنها فوجئت عندما استدار الرجل الأشقر غامزاً لها. ولكن هذه الحركة لم تفت دون أن يلحظها الرجل الذي يلقبونه «بالرئيس».

استقرت عيناه الباردتان عليها، دون أن يبتسم وكأنها غريبة عنه وهذا ما جعلها تغضب غضباً عميقاً من تصرفاته الغريبة.

أمضت مع صديقيها فترة الضحى في زيارة محلات الفندق ثم بعد ذلك جابوا شوارع العاصمة ناسو، يتأملون جدران الأبنية البيضاء وشرفاتها، أو يقطعون الشوارع بين السيارات والباصات.

كانت الشمس طوال الوقت تلوح أجسادهم، بينما الريح كانت تنفخ في شعرهم متلاعبة بملابسهم. ثم لم يلبثوا أن وجدوا طريقهم إلى الميناء الصغير الذي يحتوي على أكبر أسطول صيد في جزيرة نيو بروفيدنس.

عندما عادا إلى الفندق ركض الزوجان نحو غرفتهما، معتقدين أن كاثي ستلحقهما. لكن لما استدارت ڤيرا إليها رأتها تلوح لهما من البهو ثم حركت شفتيها بما معناه «أراكما وقت الغداء».

غرقت في مقعد عريض، تقنع نفسها بأنها بحاجة إلى الراحة. لكنها كانت تعرف أن ذلك ليس السبب الحقيقي، فعيناها اللتان تعرفان السر راحتا تجوبان البهو بحثاً عن الشخص الطويل الملتحي. في البداية فشلتا، ولكنهما فيما بعد وصلتا إلى هدفهما. كان يتكىء إلى طاولة الشراب في المقهى حاملاً كأساً يرفعه إلى شفتيه، لكن عينيه استمرتا في التحديق فيها. هذه فرصتها الآن في التظاهر بأنه غير موجود... ردت له نظرته الباردة متعمدة، ثم تقدمت نحو السلالم، مستقيمة الظهر واثقة الخطوات مرسلة إليه رسالة «أغرب عن وجهي».

دخلت غرفتها غاضبة، ثم تعرت لتدخل الحمام. استحمت بسرعة بالماء

الفاتر الذي انتشر فوق كل جسدها.

لفت المنشفة حولها. وأسدلت شعرها على كتفيها. ثم رفعت رأسها لكنها شهقت حالما رأت الرجل الواقف أمامها، عاقد الذراعين متقاطع الكعبين مستنداً إلى مدخل غرفة الحمام. منذ متى يقف هنا؟

صاحت به وهي تمسح قطرات الماء عن وجهها وفمها:

ـ هذه غرفتي... اخرج منها!

فأجابها ببرود:

ـ لو لم تكون راغبة في أن أكون هنا لأوصدت بابها.

ـ لكنني أوصدتها، أنا واثقة من هذا.

لكنها تذكر بانزعاج أنها اثناء فورة غضبها ضربت الباب بقوة، ولكنها لا تذكر انها أوصدته. رد ببرود:

ـ هل كنت لأدخل لو كان مقفلاً؟

كان سؤالاً معقولاً. لكن المنطق فيه أزعجها، فقالت:

ـ إذن أنت محق وأنا مخطئة... لقد دخلت الآن... فهل لك أن تستدير؟

ثبتت المنشفة حولها جيداً ثم أكملت:

ـ حاملاً نفسك في طريقك إلى الخارج.

لكنه لم يتحرك بل بقي حيث هو... وقال:

ـ لكنني كنت أسير في طريقي، وها قد وصلت إلى غايتي... هنا... في غرفة نومك... استجابة لتلك النظرة النارية التي رمقتني بها وأنت صاعدة إلى هنا. كانت الرسالة تقول بوضوح: «هل تسمح في أن تتبعني إلى حيث أذهب» وتبعتك.

دفعته بصدره، وصاحت:

ـ بل كانت تقول «اغرب عن وجهي»... وأنا لم أدعك إلى غرفتي.

لكنه بقي راسخاً كالجبل، فأصيبت بالذعر. أمسكت راحتاه وجهها، فراح

يلامس شفتيها المرتجفتين بإبهميه، ثم أخفض رأسه حتى أصبح فمه في موازاة فمها، وأبقاه حيث هو يحدق في عينيها. وسألها:

ـ لماذا ترتجف شفتاك؟ أمن الشوق أو من الخوف؟

كان من المستحيل أن تجيب لأن السبب الأمران معاً. شدت يداها المنشفة أكثر إلى جسدها. أما صوته فعاد عميقاً يتلاعب بها وبأعصابها المشدودة:

ـ هل أنت خائفة؟

أجابته هذه المرة:

ـ أجل... أجل! أرجوك جريج دعني وشأني!

لكن رده كان أن سحقها بذراعيه، وإذ بها تجد نفسها دون أن تعي ما تفعل تمد ذراعيها متعلقة بعنقه، تتقبل عناقه وكأنه له مطلق الحق فيه. وكأنها وعدته بأن تكون له إلى الأبد.

عندما تركها أخيراً، نظر إلى عينيها اللامعتين. كان كمن يقرأ رسالة فيهما، رسالة هي نفسها لم تعي ما تبلغه إياها. تحركت يداه إلى رباط المنشفة، وكأنما كانت تحت تأثير تنويم مغناطيسي، سمحت له أن يفعل ما يريد دون احتجاج... في هذه اللحظات كان يقدر على فعل ما يشاء بها.

لكنه لم يلمسها. بل عادت عيناه ثانية، وقد أصبحت جادة بعمق، تحرق في تجوالها بشرتها، وكأنه فنان يتأمل عارضة أمامه سعياً إلى إتمام رائعته الفنية.

قال بصوت ناعم:

ـ أنت أجمل مما تصورت.

في اللحظة الثانية كان يتحدث إليها من عند الباب

ـ تناولي غداؤك ووافيني إلى البهو الفندق. سأرافقك في نزهة.

عندما نزلت السلم إلى البهو وجدته في انتظارها... كان استقباله لها هذه المرة أكثر حذراً. وقفت أمامه تبتسم في وجهه قائلة:

ـ لقد أطعت أوامرك. وها أنا هنا، جاهزة ومنتظرة.

أمسك ذراعيها ليقربها منه:

- وراغبة؟

فقطبت، ثم ابتسمت وأجابت:

- لا.

- آه يا امرأة... إن لك قلباً قاسياً!

عاد إلى لكنته، مما جعلها تضحك وتهز رأسها:

- بل إنه رقيق جداً... فعلاً.

- قد أطلب منك إثبات هذا.

- تستطيع، لكنني أرفض إطاعة «كل» أوامرك. قد تكون رئيساً لزملائك، لكنك لست رئيسي سيد باركو.

- تعالي إلى الخارج وكفي عن الثرثرة الحمقاء. كما يقول الإسبان.

ضحكت ثانية، وهي تتبعه لتمسك يده ثم نظرت إليه لتعرف ردة فعله، لكنه لم يعارض، فلو كان يعارض ذلك لسحب يده منها.

ابتعدا بالسيارة عن المدينة إلى داخل أراضي الجزيرة الغامضة. صاحت كاثي بإثارة وهي تنحني إلى الأمام لتلتقط كل ما يمر بها للذكريات القادمة:

- لم أشاهد هذا من قبل! حيثما تنظر تبدو الأرض فارغة سوداء.

- إنه الفراغ الذي قدمت أنا وزملائي لأملأه.

- إنه مشروع رهيب... لماذا لا يترك الناس الأمور كما هي. فيبقى هذا الجمال وهذه الأسرار كما هي.

- وأين كان ليجلس السياح في خلال زيارتهم؟ هل كانوا سينصبون خيماً فوق الغبار الأسود؟ ألا تعلمين أنه لو لا عملنا وتمويلنا لما كنت هنا.

انعطف بالسيارة ليتجاوز عربة سياحية. ثم أكمل:

- في الواقع أجد غرابة في أن تعترضي على التطور، ألا تعلمين أن ايستمان كوربريشن، الشركة التي تعملين فيها، تشارك في مشاريع الإعمار هنا؟

تراجعت في مقعدها لكن عينيها استمرتا في تأمل ما يحيط بها:

- أعلم هذا، لقد أخبرتني ثيرا، فهي تعمل في قسم المشاريع العالمية. بينما أعمل أنا في قسم شؤون الموظفين. أتعامل مع الناس لا مع المشاريع. لقد اقترحت القدوم إلى هنا بعد أن سمعت عن الجزيرة من رئيسها.

فابتسم:

- إذن فكري قبل أن تنتقدي في المرة القادمة!

فتنهدت:

- أظن أن ما قلته منطقي، لكن هذا لن يوقفني عن الاعتراض على ما تفعله يد البشر من تخريب في الجمال الطبيعي الطلق.

- نقطة رابحة، آنسة لونرغان. أعتقد أنه من الخير للشركة أن تعملي في أقسام هامة فيها.

التفتت إليه سعياً إلى مجادلته فلما وجدته يضحك اكتفت بأن تمتع النفس بالمنظر الفريد أمامها، منظر الجبال والأودية المخبأة بعض الشيء ومنظر السماء الزرقاء الخالية من الغيوم، ومنظر البحر القابع بعيداً.

- كل هذا رائع... وكأنه من كوكب آخر... كيف تكوّن؟

- من جراء البراكين. ليس في هذه الجزيرة ينابيع وهي عرضة للعواصف التي تسبب أضرار واسعة وليس فيها غابات، ومع ذلك يتمكن السكان من زراعة ما يقرب من الواحد في المئة من أرضها بالخضار والفاكهة، وخاصة الأناناس والموز، وثمة الكرمة التي تتيح لهم انتاجاً جيداً، وكلها بسبب التربة المذهلة... وهم يستفيدون جيداً من الندى ليلاً.

- لا بد أن سكانها يعملون بمشقة.

- هم مضطرون إلى هذا مقاومين بذلك الصعاب. قد تكون هذه الأرض هي أول أرض وطأها كولومبس ثم وفد إليها المستوطنون في القرن السابع عشر.

كان يمر بهما بين الفينة والأخرى قرى صغيرة بيوتها ذات أسطح بيضاء، تقف لامعة وسط التراب البركاني الرمادي. لكن بدا لها بين الحين والآخر أشجار النخيل المعزولة تتحرك أوراقها العريضة باستمرار مع الريح.

في حدائق تلك البيوت تنمو الأزهار الحمراء أو النباتات الاستوائية، والدغلات الصغيرة والخضار. حيوية هذه الحدائق كانت تتنافر بشكل قوي مع الامتداد الأسود الذي يحيط بالقرى.

تابع جريج كلامه ليقطع حبل أفكارها:

- الرماد البركاني يحتوي على معادن مفيدة. لهذا ترين السكان ينثرونه فوق الأرض، فهو يفيد الأرض وينمي النبات وذلك بالتقاطه الرطوبة التي فيها.

هزت كاثي رأسها، مسحورة بكل شيء تراه... فالبحر ليس بعيداً عنهما الآن، ها هما يقتربان من قرية تعطي الملجأ لا لأهل البلد بل للسياح. قال جريج:

- هذه أملاك تحتاج إلى تطوير. فهل توافقين على تطويرها؟

تأملت مجمع الشقق السكنية والڤيلات التي بدت مكتظة بالناس الذين يقضون عطلاتهم، بل فلنقل أفضل أيام عمرهم. ابتسمت كاثي:

- يبدو المكان رائعاً... فبرك السباحة منتشرة في كل مكان، والشاطىء الرملي معد للعب الأولاد. والرمال وكأنها ذهب خالص. هذا إضافة إلى الشمس، إن هذا المكان يبدو وكأنه الفردوس.

فابتسم لها:

- إذن الفردوس حولنا هذا هو التأثير الذي تتركينه فيّ. معك أشعر وكأنني في الفردوس.

قوله العفوي هذا كاد يُفقدها توازنها. ماذا يعني؟ هل هو جاد؟ أيريد شيئاً منها؟

تقلبت الاسئلة رأساً على عقب في رأسها.

قالت له مازحة وهي تشعر بالارتباك.

- أنت تقدم الإطراءات الجميلة... يا سيدي!

فقال بخشونة:

- هذا ليس بالإطراء... إنها الحقيقة.

●●●

٤ - سيد الأسرار

لن تفهم هذا الرجل أبداً حتى وهي تحدق فيه، كانت كاثي تجده قد تبدل إلى الجد... فنظرت إلى الأمام وقالت:

- هل لنا أن نعود الآن؟

كان النهار قد أصبح قاتماً، مع أن الشمس ما زالت مشرقة. بعد أن أوقف السيارة قرب مدخل الفندق سألته كاثي:

- هل تطل غرفتك على البحر؟

هز رأسه، ثم فتح لها باب المدخل، فتابعت:

- إنها إذن غرفة جميلة.

توقف ليديرها إليه:

- نعم هي جميلة فهل تريدين دعوة إليها؟

اصطبغ وجهها بالاحمرار فأطرقت رأسها. لماذا لم تدرك من قبل كيف ستبدو له اسئلتها؟

- لكنك لن تحصلي على دعوة.

التفتت إليه وقد اشتد احمرار وجهها:

- أرجو أن تعذرني... شكراً على النزهة وعلى اضطرارك إلى التكيف مع رفقتي الساذجة.

فأمسك بذراعها:

- تنازلي عن كبريائك يا امرأة. فإن كنت قد أغضبتك فأنا آسف... لا شك في أنك تعرفين ما هي ردة فعل الرجل عندما يُسأل سؤالاً كهذا.

تحررت منه:

- في المرة القادمة سأكون أكثر حذراً هذا إن كان هناك من مرة أخرى.

توجهت نحو السلم، فتبعها:

- تناولي العشاء معي الليلة.

- لست أبالي أكان هذا أمراً أم دعوة، فالجواب هو نفسه: لا! شكراً لك!

نظر إليها عندما وصل إلى قمة السلم ثم هزّ كتفيه وقفل عائداً. أما هي فرمت نفسها على المقعد في غرفتها مرتجفة من الغضب والإحباط.

شكرت الله لأن ڤيرا وادي يشاركانها الطاولة هذه الليلة. فعندما سيدخل جريج وزملائه ستعطيه ظهرها، وتمضي وقتاً ممتعاً برفقة صديقيها.

مضت الأمسية كما أرادت، فعندما دخل انتقلت من مقعدها إلى مقعد آخر محدثة ضجة، لتجذب انتباهه ثم تظاهرت بالتمتع بنكتة قالها ادي، وضحكت بصوت مرتفع أكثر من صوت ڤيرا، معطية بذلك انطباعاً بأنها تمضي وقتاً سعيداً.

قبل نهاية الوجبة بقليل كان ادي قد أقنع زوجته بمرافقته إلى الرقص، وقالت ڤيرا لها:

- تعالي معنا، لا شك في أنه سيبحث عنك. فهو لم يكفّ لحظة عن التحديق إلى ظهرك بنظرة توحي بأنه يود لو يحطم لك عنقك. أنشاجرت معه؟

هزت كاثي كتفيها:

- لقد طلب اصطحابي إلى العشاء... لكنني رفضت.

فصاح ادي:

- أهذا كل شيء؟ بالله عليك! لا عجب في أنه ينظر إليك بغضب. لا ريب في أنك جرحت كبرياءه.

لكنها لم تشرح لهما بأنه كان البادىء بجرح كبرياءها:

- لن أرافقكما، شكراً. هيا متّعا نفسيكما. سأكتب بضع بطاقات بريدية إلى بعض الأصدقاء.

سألتها ڤيرا ثانية قبل أن يفترقا في البهو:

- هل أنت واثقة؟

فهزت كاثي رأسها مؤكدة، فتابع رفيقاها طريقهما.

لم تكتب البطاقات، بل قررت القراءة... لكنها اكتشفت أن اتخاذ القرار يختلف عن تنفيذه. فالكتاب كان جيداً، لكنه لم يأسر اهتمامها لذا تركته واستلقت على الفراش، محاولة قراءة مجلة... تصفحتها بسرعة قارئة منها فصلين قصيرتين.

عاد القلق ليطفو وكأنه غطّاس اكتفى من الغطس وإذ به يقول لها: اتركي هذه الغرفة، اخرجي، حركي ساقيك قليلاً. أطاعت مشاعرها لئلا تنكر عليها حقها، مهما كانت راغبة في مقاومة هذه المشاعر.

ما إن أنزلت قدميها عن السرير حتى رن جرس الهاتف. فغاص قلبها وتوترت أعصابها، لكنها أمسكت السماعة بشيء من الثبات:

- نعم؟

- هل ترقصين معي؟

جاء السؤال مباشراً ملؤه الثقة... وكأنها تجلس أمامه على الطاولة قربه. فصوته العميق المنخفض أشعرها بوجوده يغمر الغرفة، وكأنه فعلاً إلى جانبها. ومع ذلك فقد كان ردها مقتضباً:

- لا... شكراً. ابحث عن شريكة أخرى.

أخفضت السماعة إلى مكانها. ثم وضعت يديها بين ركبتيها، منتظرة رنين الهاتف ثانية، لكنها لم تتلق سوى الصمت. تصاعد غضبها من فشله للمرة الثانية، بأن يقنعها بتغيير رأيها.

ساخرج للسباحة. ساغير ملابسي وأغطس في البحر... بعد سبع دقائق اكتشفت أن المياه باردة جداً في هذا الليل حيث لا شمس تدفىء الجو. لكنها لم تهتم... عندما غطست جسدها دفعة واحدة في الماء شهقت من البرد. لكنها قاومت رغبتها في الهروب وبقيت لحظات تحت الماء ثم خرجت إلى السطح لتلتقط نفساً عميقاً تبدأ بعده بالسباحة.

اتجهت نحو الصخور التي جلست فوقها يوم امتحنها أحد زملاء جريج. أغضبتها تلك الذكرى فكان أن أعطتها مزيداً من القوة لتضرب بذراعيها الماء وتندفع عبر البحر الهادىء البارد.

صاح بها صوت فجأة:

ـ انتبهي إلى هذه الصخور!

تجاهلت التحذير، فهي تتذكر تماماً خشونتها، وحدة أسنانها وتركيبتها البركانية. ورغم حذرها انزلقت ساقها اثناء تسلقها الصخور، فجلست تحدق في العتمة تفحص موضع الإصابة باهتمام جعلها لا تحس باقتراب سابح نحو الصخور. لم يظهر عليها التوتر إلا بعد أن تسلق بحذر وجلس قربها. فسألته:

ـ لماذا تبعتني؟ هل وجدت كل النساء مشغولات بشركائهن؟

ـ من قال إنني تبعتك؟ ربما جئت هنا لأحقق رغبة خاصة... أسبح... كما تفعلين أنت بالضبط.

ـ فماذا تفعل إذاً بجلوسك قربي؟

نظر إليها نظرة افتتان:

ـ أنت... بعد أن بدوت بصورة ڤينوس الشابة تسألين رجلاً هذا السؤال.

أحست بوجهها يحترق، ومع ذلك راحت تحدق فيه محملقة، على أمل أن تحرجه، فابتسم وكأنه يرحب بتحديقها فيه. مضت بضع لحظات كي تدرك أن نظراتها انقلبت من رغبة في الانتقام، إلى نظرة إعجاب بتقاسيم وجهه الصارمة، وقوة بِنيته.

فقال ساخراً:

ـ أتتأكدين من أنني رجل حقاً؟ ولكنني لست بحاجة لأؤكد لنفسي بأنك أنثى... فهذا ما يبدو جلياً كالشمس لأي رجل قد تقع عينه عليك خاصة وأنت في ثوب السباحة.

نزلت بسرعة وحذر إلى المياه، فسبحت من الصخور باتجاه الشاطىء. حيث أصبح خلفها عندما وصلت إلى الشاطىء التقطت منشفتها ثم راحت تجفف جسدها. أما هو فاستخدم منشفته بسرعة ثم ألقاها ليتناول منشفتها من

يديها... فقالت محتجة:

ـ أشعر بالبرد يا جريج... أرجوك دعني أجفف نفسي.

لم تكد تراه في العتمة فأنوار الفندق تلقي بعض النور على الشاطىء الخالي من الناس لكن هذا النور لم يمتدّ إلى مسافة بعيدة.

لم يأبه بقولها بل راح يجففها بضربات قوية خشنة دفعتها إلى أن تقول، وهي تتمنى أن لا يتوقف، لأنه لم يترك منها جزءاً إلا وجففه:

ـ هذا عظيم.

الإثارة التي كانت تولدها حركته فاقت قدرتها على الاحتمال فهي تريد أن تلمسه أيضاً. فقالت له:

ـ والآن شعري... أريد أن أجففه أيضاً.

فأعاد إليها المنشفة، فرفعتها لتجفف شعرها... وعندما أحست بيديه تلامسان خصرها، أجفلت متمنية لو أنها لم تسترجع المنشفة منه. فملمس يديه على بشرتها العارية غدا أمراً لا يحتمل.

سقطت المنشفة فوق الرمل، فجذبها إليه حتى أصبحا نصف مستلقين فوقها ثم انسلت ذراعه إلى ما تحتها، ليسند لها ظهرها بيد ويسند رأسها باليد الأخرى ثم انحنى يعانقها بقوة ألمتها ودفعتها إلى الاسترخاء بين ذراعيه.

تنهد البحر وتكسرت أمواجه زاحفة إلى أقدامهما. كان المد يرتفع لكن كائي الغارقة في بحر عواطفها لم تع ما يحدث فالهلال ارتفع إلى السماء والنجوم لمعت بصفاء... والمحيط تتقدم مياهه رويداً رويداً... وعما قريب ستغرقهما إن بقيا حيث هما. صاحت به:

ـ المد... المد يا جريج!

جرّ نفسه مبتعداً لكنه لم يبتعد إلا مسافة قصيرة قصيرة جداً ثم تمتم:

ـ فليأتِ وليحملنا وليطف بنا إلى البعيد ونحن متعانقان إلى الأبد.

قالت بإلحاح:

ـ جريج... أغراضنا ستبتل... وأنا أحس بالبرد.

أحست بالقشعريرة تسري في أوصالها فأعاد إليه ارتجاف جسدها بين ذراعيه رشده.

وقف، ثم جذبها إليه، فسارعت هي إلى التقاط منشفتها قبل أن تصل إليها مياه البحر. ثم ابتعدت لتجفف قدميها وتنتعل حذاءها. وعادا إلى طبيعتهما... هو غادرته تلك العاطفة الجامحة وهي لم يعد يدلها على كل ما حدث منذ قليل إلا ارتجاف شفتيها وخفقات قلبها وحرارة جسدها.

ارتدت الروب، ثم سارت نحو الفندق وهو يرافقها واستخدما المصعد، لكنهما لم يتحدثا، مع أن عينيه لم تبرحاها لحظة واحدة.

استدارت إليه وقد وصلا إلى أعتاب غرفتها.

ـ شكراً على مرافقتك... عمت مساء.

تناول المفتاح من يدها ثم فتح الباب لها وأشار إليها بالدخول. تراجعت ثم رفعت يدها فها هو قد تبعها.

ـ المفتاح ما زال معك!

ـ سأعيده، عندما أحصل على ما أريد.

أخفضت عينيها لإخفاء مشاعرها المضطربة... يجب ألا تكشف له مدى شوقها إلى تسهيل ما يريد، فكل شيء فيها، عقلها عاطفتها قلبها. كان يميل إليه...

رفعت نظرها إليه فزعة. هل أدرك ما يجول في خاطرها حتى قبل أن تفكر فيه؟ ولمعت عيناه. فأغمضت عينيها لثوان شاكرة لأنه فشل في معرفة ما تفكر فيه. ولكن أراد هذا أم لم يرده، إنه الآن يمتلك قلبها... وحبها... قال لها صوت داخلي هادىء: اعترفي بهذا!

امتدت يداه إلى خصرها، وجذبها إليه:

ـ أنت لم تتفوهي بكلمة، ولكنني أقسم أن هناك الكثير الكثير مما يدور داخل هذا الرأس.

أجابت:

ـ هذا فقط لأنني أفكر في خير وسيلة للاعتذار منك، وللقول إنني آسفة... فأنا لا أقوم بهذا.

أرخى قبضته قليلاً وقد بدا عليه التسلية:

ـ لا تقومين بماذا؟

تصرفه أربكها فأجابت:

ـ أن... أمنح... أمنح الرجال ما يريدون.

أضاءت وجهه ضحكة... فقطبت، وقد حارت كيف يستطيع الضحك في الوقت الذي ترفضه فيه امرأة. رفعت اصابعه وجهها:

ـ حتى وإن كان ما يطلبونه ابتسامة؟

ضحكت كائي، فغمرها إحساس بالراحة ممزوجاً بخيبة الأمل. ففتح فمه صائحاً وكأنه يريد التهامها:

ـ لقد ضحكت! سألقي القبض على هذه الضحكة.

التفت ذراعاه حول جسدها النحيل، تغلفانها وكأنها مشدودة إليه بفعل ريح هوجاء.

ـ ماذا ستفعل بالضحكة... هل ستعطيها صفحة كاملة من «البومك»؟

فكر قليلاً:

ـ سأقوم بأفضل من هذا. لأسجلها على شريط، ثم أعيد الاستماع إليه في لحظات وحدتي واضطرابي.

ـ وحدتك؟ أحقاً ليس لديك زوجة؟

بدا للحظات بعيداً عنها، وكأنه غير موجود في هذا المكان بل في مكان آخر. فتسمات الصارمة أعادت القلق إلى عينيها، لكنه لم تمضِ إلا هنيهات حتى اعتلت ابتسامة طرفي فمه. فقال وهو يبتعد:

ـ ليس لدي زوجة...

ثم توقف عند الباب ليكمل:

ـ تصبحين على خير يا كائي.

فأسرعت راكضة إليه، مصممة على طرح سؤال، حتى وإن كانت قناعتها

تقول لها «لا».

ـ غداً ستكون في العمل على ما أعتقد؟

ـ لا... سأغيّر عادتي، فأجوب الجزيرة برفقة أنثى.

أحست بخيبة الأمل، حتى كادت تبكي، فاستدارت، وقالت بقدر ما أوتيت من هدوء:

ـ آه... فهمت.

فأدارها ثانية إليه:

ـ لا لم تفهمي... فالأنثى ستكون أنت.

بدت سعادتها واضحة كنور الشمس إن لم يلاحظها فهو أعمى.

ـ سأكون جاهزة... متى؟

ـ عند الضحى... سأراك في البهو... هه؟

فهزت رأسها:

ـ في البهو إذن.

أحنى رأسه ليقبل خدها ويقول بخبث:

ـ لا يجب أن تظهر عليك السعادة بهذا الشكل الذي يبعث على الاشمئزاز... فالرجل صياد، والمرأة هي الصيد... ولكن عندما أبدأ بملاحقتك، وتركضين، اركضي إليّ.

امتدت يدها تعبث بلحيته، فضربها عليها ممازحاً، ثم رفعها إلى فمه...

أغمضت كاثي عينيها من تأثير أشعة الشمس لكن ذلك منعها من التمتع برؤية المناظر الخلابة التي كانت تمر بهما أثناء اجتيازهما الطريق فكيف لهذه الجزيرة الاستئثار بفضولها وهي تعلم أنه لم يبق لها سوى وقت قصير تمضيه مع هذا الرجل.

قالت وعيناها الزرقاوان حزينتان:

ـ الكاميرا... لقد نسيت إحضار الكاميرا! ماذا سأفعل؟

أجاب بسرعة:

ـ لدي كاميرا. إنها في المقعد الخلفي، أخبريني ماذا تريدين أن تلتقطي من صور ثم أعطيني عنوانك لأرسلها إليك.

رافقت وقد ارتفعت معنويات قلبها للتفكير بأن الارتباط معه لن يتوقف نهائياً... ثم علمت أن الفكرة مستحيلة... فبعد اليوم، لن تتقاطع حياتهما أبداً.

قررت بصمت أن لا تعطيه العنوان. فالانفصال التام هو أفضل لها فما فائدة إطالة العذاب؟

سألته، بعد أن وجدت في نفسها بعض الرضى لقرارها هذا:

ـ إلى أين نذهب؟

ـ إلى حيث تقرر السيارة.

راحت تتأمل الشواطىء من نافذة السيارة. فلاحظت أنها تبدو فارغة. وأن بعضها مغطى بالرماد البركاني الأسود. بينما اجزاء أخرى تلمع بالرمال الذهبية.

قال لها جريج:

ـ سنبتعد عن الساحل الآن... إلى الداخل.

ـ تبدو لي الجزيرة أكثر سحراً كلما شاهدتها... ثمة اسوداد حيثما نذهب، بدلاً من التراب البني الذي نراه في بلادنا.

ـ هذا الرمل يضعه عادة المزارعون، إنهم ينثرونه فوق التربة التي ينثرون فوقها البذار.

ـ أتعني أن الرماد يساعد على نمو الزرع؟

ـ إنها قبل أي شيء تحمي الزرع من الريح، ثم إنها تمتص رطوبة الجو وتعطيها للزرع، وهذا هام للغاية لأنه كما ذكرت لك سابقاً لا منابع مياه فيها والمطر لا يكاد ينهمر.

ـ من أين لك كل هذه المعلومات؟

فنظر إليها بسرعة:

ـ إن عملي يفرض علي معرفة هذه الأمور... ولكن أي مرشد سياحي

يعمل في الجزيرة سيقدم لك هذه المعلومات.

فابتسمت باغراء:

ـ إذن فأنا لدي مرشد سياحي خاص.

فرد بخشونة:

ـ لكن أجري مرتفع مع السياح الوقحين.

فابتسمت مرة أخرى.

بدأت البقع الخضراء تنتشر هنا وهناك. ارتقت السيارة بهما حتى وصلا إلى قمة التلة، التي دفعت كاثي إلى أن تصيح بذهول من رؤية البقع الخضراء التي تزين التربة السوداء. فقال جريج:

ـ هذه حقول الكرمة في الجزيرة. أعرف أن من الصعب التصديق أن الكرمة تنمو هنا، ولكن هذا سببه إخلاص المزارعين لأرضهم.

تابعا سيرهما ليمرا أمام «ملاّحات» حيث كانت مضخات الهواء ترفع المياه من البحر لتصبه في برك واسعة ضحلة. قال لها جريج:

ـ بعد تبخر المياه، يُرفع ما يتبقى من ملح كي يصبح كالأهرامات الضخمة، وهناك كذلك مصانع تكرير للملح. وبما أن قطاع السياحة مزدهر الآن، فهذه صناعة ضرورية.

تغيرت أمامهما معالم الأرض. فشرح لها أن هذه منطقة بركانية... شاهدت كاثي بانبهار كيف أن لون الجبال تغير من الأسود إلى الزهر، فالأحمر، والأخضر، ممتداً إلى مسافات بعيدة. تابع جريج الشرح:

ـ بعد مسافة قصيرة سنصبح في منطقة «جبل النار» أي فوهة البركان.

توقفت السيارة قرب أسفل منحدر. فدعاها جريج للنزول والإحساس بالريح تلفح وجهها... ثم توجها لتناول الغداء في مطعم مستدير في إحدى المنتجعات المبنية خصيصاً للسياح... كان الطعام رائعاً، والمياه المعدنية جاهزة على المائدة، إضافة إلى عدة أنواع من عصير الفواكه.

كانت مسرورة لأنها في هذا المكان شعرت بأنها تريد أن تمسك بكل لحظة

بين يديها لتعصر كل السعادة التي فيها.

الماضي نام بكل أمان في تفكيرها، أما المستقبل فقد غدا ظلاماً. ولا تملك في هذه اللحظة إلا الحاضر الذي تريد أن تعيشه وأن تتنشقه وترتبط به إلى نهاية العطلة حيث يأتي الفراق.

خرجا ثانية، فالتقط جريج كل صورة طلبتها منه... ففي المطعم التقط لها منظر الطبيعة الساحرة في الخارج. كان المنظر يرسم بروعة دغل مقطوع الأغصان يمتد إلى الشاطىء الرمادي.

كان البحر عن بعد أدكن يرتمي على أقدام شواطئه الزبد الأبيض. لم تستطع كاثي إلا تأمل هذا المنظر الجميل القريب برهبة وسعادة.

جذبتها ذراع جريج إليه وقال لها هامساً:

ـ مع أن هذه الأرض جميلة، فهناك ما هو أجمل ينقص هذا اليوم. هل أعرضه عليك؟

ضمها إليه معانقاً، وعندما ابتعد أمسكت به وأعادت ضمه إليها رداً على بادرته. أضاءت عيناه، لكنها لم تلبث أن لاحظت أن نورهما قد خبا وحلت مكانه نظرة لم تفهم ماهيتها... لكن ذلك لم يجعلها تشعر إلا بأنها لن تكون يوماً أشد سعادة مما هي عليه الآن.

قال جريج:

ـ نحن لم نتصور بعد... ولا بد من التعويض عن هذا.

مدت إليه يديها قائلة:

ـ سأصورك أنا في البداية.

رفع كاميرته ليلتقط لها الصورة كما هي، فاحتجت صارخة. ثم دنت منه لتنتزع الكاميرا منه، لكنه أوقفها بحدة. فابتعدت خطوات متألمة من قساوة يديه لضحك.

ـ تبدين ككلب مشنب الأذنين! لم أقصد النباح لكن هذه القطعة غالية الثمن، وأنت بحاجة إلى أن تتعلمي كيفية استخدامها.

سرعان ما صفا وجهها، فالرجل الذي أصبحت تعرفه الآن، قد عاد إليها. فطالبته:

ـ أرني كيف.

بعد أن علمها طريقة استخدامها وقفت غير بعيدة عنه ثم وجهت الكاميرا إليه فطالعتها صورة مخيفة لرجل يرتدي بذلة رمادية يحيطه جو من السلطة، تظهر عليه ملامح تظهره وكأنه بعيد المنال. انتزعت الكاميرا بسرعة عن عينيها ونظرت إليه لتطمئن إلى أن الصورة التي شاهدتها كانت وهماً من نسج خيالها... سألها:

ـ ما بالك الآن؟

ـ لا شيء... أتريث قليلاً كما يفعل الفنانون المحترفون.

ازدادت ابتسامته اتساعاً من جوابها، وبقيت متريثة إلى أن بدأت البسمة تتلاشى، عندها ضغطت الزر، لتلتقط الصورة... عندما يرسل الصور لها، وهي تعلم أنه سيفي بوعده، ستتمكن من ضم صورته إليها حيث ستضعها قربها على وسادتها حيث تنام.

قاطع تفكيرها معلقاً:

ـ أتمنى أن يكون تأملك إياي قد أوصلني إلى مقاييسك العالية.

تناول منها الكاميرا متابعاً:

ـ أظن أن من واجبي رد التحية لك. وترك عيني تستكشفك عبر الكاميرا.

ـ أتمنى... لو نلتقط صورة مشتركة لنا معاً.

ـ ليس ذلك بأمر صعب.

التفت فيما حوله فوجد أباً شاباً لعائلة صغيرة، فتقدم منه، وتبادل معه بضع كلمات، فهز الرجل رأسه، ثم أخذ يصغي وجريج يشرح له طريقة استخدام الكاميرا، ثم أعطاه إياها بحذر.

ابتسم الرجل وهز رأسه محيياً كأني فردت له ابتسامته، ولف جريج ذراعه حول خصرها وهمس:

ـ هيا اظهري أسنانك.

عندما ضحكت، التقط الرجل لهما الصورة فسألهما الوالد الشاب.

ـ صورة أخرى.

ضغط من جديد على زر الكاميرا فالتقط لهما صورة وهي تريح رأسها على كتف جريج.

فصاحت محتجة:

ـ لا... الغ هذه!

ضحك جريج ثم أدارها ليغمرها بين ذراعيه، وتكتكت الكاميرا ثانية... وافترقا، وفتحت فمها لتحتج بقوة أكثر... لكنها اكتشفت أن الوالد الشاب لم يكن هو من التقط الصورة... بل هو ذلك الرجل الأشقر زميل جريج...

●●●

٥ ـ في أحضان ذراعيه

دفعها جريج عنه، عابس الحاجبين مضموم الشفتين ثم اقترب من الرجل وأسمعه بضع كلمات ابتعد بعدها الرجل محبطاً.

كان وجه جريج عاصفاً وهو يرجع الكاميرا إلى حقيبتها. فسألته والحدة ظاهرة عليها:

ـ هل ثمة خطب ما؟

ـ لا شيء يستوجب القلق. لكن الزملاء أحياناً يتجاوزون حدودهم.

تجرأت على القول:

ـ وخاصة عندما يزعجون رئيسهم.

تنهدت شاكرة عندما رأته يبتسم، ثم تناول يدها.

ـ سنذهب الآن إلى أماكن قد غارت في الأرض وهي تدعى المناطق البركانية الحديثة.

عندما وصلا إلى تلك المنطقة وجدا العديد من السياح فشرح لها أن هذا المكان هو أشهر موقع في الجزيرة:

ـ ثمة بحيرة تحت الأرض، يقال ان سرطاناً أعمى فريداً أشقر اللون يعيش فيها. مهما يكن الأمر... سيري بحذر... لأننا سنذهب إلى ناد ليلي.

فابتسمت باغراء:

ـ لا شك في أنك من رواده.

ـ بما أنك قررت أنني من رواده، فلا حاجة للإجابة...؟

أمسك بيدها ضاحكاً:

ـ فلندخل.

حبست كائي أنفاسها عندما رأت المنظر الذي طالعها وهو منظر حديقة غناء ترتفع فيها النباتات والأشجار الاستوائية بشكل ساحر. قال جريج:

ـ يبلغ طول بعض الأشجار تسعة أمتار، كما أعتقد.

كانت النباتات، الشجيرات الشائكة، والأشجار والأزهار الاستوائية حول حجارة السلم الذي يقود إلى بركة انعكست على صفحة مائها صورة تلك الحديقة الساحرة. بدا لهما قرب البركة صخرة كبيرة منحوتة يتسلل منها نور يلقي ظلاله على وجه الماء فيتلألأ. في وسط تلك الصخرة نحتت قاعة زهرية اللون يأوي إليها السياح.

بعد تناول الشراب المنعش في ذلك المكان الهادىء الساحر البارد، غادراه تاركين وراءهما هذا السحر الذي لن تنساه أبداً.

أمسك يدها وهي ما تزال غارقة في دائرة التعويذة السحرية التي فرضتها تلك المغارة عليها، قال لها:

ـ هيا فلنعد إلى منزلنا.

ـ منزلنا؟ ولكن منزلي بعيد...

ـ أي مكان سيكون منزلي إن كنت أنت فيه.

انتهى العشاء، فاقترح جريج أن يتمشيا على شاطىء الفندق الخاص... لكنه لن يعرف أبداً أنها شعرت وهما يسيران يداً بيد فوق المنحدر المرصوف باتجاه الرمال الذهبية، بأنها قد تذهب معه، حتى آخر العالم، جيئةً وذهاباً، لو طلب منها.

أصبحا فوق الرمال، والشفق ما زال ينير الشاطىء. لفت يدها على خصره، وضعت الأخرى على سترته ثم راحت تبحث في عينيه عن أفكاره، لكنها لم تجد شيئاً... تركت أصابعها تصعد إلى أن وصلت إلى ربطة عنقه التي أرختها مبتسمة.

لكنها عادت فردعت نفسها منتظرة ردة فعله الذي لم يكن أكثر من

ابتسامة. عندما أكملت عملها لتنزع الربطة وتلفها ثم تضعها في جيب سترته. بعد ذلك مدت يدها لتفك الزرين الأولين من قميصه. تراجعت قليلاً لتسأله:

- هل تمانع؟

- لو كنت أمانع، أيتها العفريتة المجنونة، لأعلمتك منذ أن بدأت.

- هذا ما ظننته... ستكون الآن أفضل حالاً وأكثر راحة.

مد يده إلى ياقة فستانها قائلاً:

- لدي ما يحثني على رد جميلك.

- ماذا ستفعل؟

وضعت يديها فوق يديه. فقال بخبث:

- أريد أن أفتح لك ياقتك لكنني لن أتوقف عندها فقط لأنني إذا فككت أزرارك... ستصبحين أفضل حالاً.

فشهقت ثم أمسكت بياقة فستانها:

- اوه... لا. فأنا لا أرتدي شيئاً تحت فستاني.

نحّى يديها بعيداً عن ياقتها ثم وضع يديه مكانهما:

- هذا سبب إضافي لإكمال ما بدأته.

أمسكت يداها معصميه أما عيناها فغرقتا في عينيه:

- أنت رائعة.

عادت يده إلى خصرها وارتفعت يدها إلى خصره... إنها تحب أن تشعر به قريباً منها، تحب طوله الفارع وشعره الأسود وحركة جسده. في عينيه البنيتين أسرار تعلم أنها لن تعرفها يوماً. فماذا يا ترى خلف هذه اللحية التي لن تعجبها يوماً... أخفضت رأسها إلى كتفه... وهي تقول لذاتها أحب كل شيء فيه... حباً لا أمل فيه. لكن الحب يجب أن يؤمل الإنسان بل يجب أن يغنيه بالمشاعر وأن يملأ فراغ قلبه. وأقفلت تفكيرها تجاه الألم الذي ستحس به يوم تقول له مضطرة وداعاً.

أحست به يجذبها إليه قائلاً:

- أين تهت، لقد ضيعتك أفكارك... بماذا كنت تفكرين؟

رفعت كاثي كتفيها:

- ليس من شيء مهم... كنت اتساءل عن مقومات الزواج الناجح.

وأدارها لتواجهه.

- أخبريني أنت.

كان يقفان في ظل جرف صخري يتسلق البحر إلى الرمال التي تلقي عليه الشمس نوراً ضئيلاً يرسلها إليها الغسق. أمّا الريح فراحت تهب بقوة.

أمالت رأسها إلى جانب واحد:

- حسناً... لا بد من المرح والضحك، والصداقة، كما قلت من قبل.

- إذن... الحب يأتي على اخر لائحة الأولويات في العلاقة بين الرجل والمرأة؟

- آه... الحب... هذا أمر مختلف...

- أخبريني ماذا تسمين الحب؟

- حسناً... أنا ومايك... كنا نتعانق و... لست أرى سبباً للخوض في التفاصيل، لكنه لما كان يتمادى كنت أطلب منه التوقف.

فتظاهر بالرعب:

- اوه... يا إلهي!... أشفق عليه بسبب العذاب الذي مرّ به!

ضحكت كاثي ثم رمت رأسها إلى الوراء لتجمع شعرها البني بعيداً عن وجهها. في هذه اللحظة هبّت ريح قوية حملت معها بعض الرمال تنثرها في الجو فكان إن ضرب رذاذ الرمل بشرة كاثي كالدبابيس. فشهقت، وغطت وجهها بذراعيها، أبعدها جريج عن مصدر الهواء، ثم أخرج منديلاً مسح فيه وجهها وعينيها اللتين تأذتا من الرمال وقال:

- رفرفي عينيك بقوة.

ثم ساعدها لتزع ما بقي عالقاً من غبار في جفنيها.

بعد لحظات سألها:

- هل أنت بخير الآن.

فهزت رأسها مبتسمة. وعيناها مبتلتان من الدموع وأمسك بها من تحت ذراعيها، ثم جذبها نحوه فلامست بشرتها الناعمة صدره الخشن. ثم لم تلبث، في هذا الوقت الذي تكاد تطبق فيه الظلمة على آخر ملامح النور، أن استوت في وقفتها تبحث عن وجهه لأنها شعرت وهي بين ذراعيه بقبضته تضغط عليها بغضب قال:

ـ أريدك... يا إلهي كم أريدك!

التزمت الصمت لأن قلبها كان يضرب بقوة لم تستطع معها إخراج أي صوت... فتابع:

ـ أجيبيني... اللعنة عليك... لماذا لا تقولين اذهب إلى الجحيم!

تمكنت أخيراً من إيجاد صوتها:

ـ لأنني... أنا أيضاً أريدك.

بعد لحظات من السعادة المحرّمة، ابتعدت عنه بعض الشيء دون أن تتركها ذراعاه، قالت بخجل:

ـ أنا... لم أقم بشيء كهذا من قبل... ولكن إذا أردت...؟

أنهت كلامها بما يشبه سؤال يخرج من أعمق أعماقها حيث بدت وكأنها طائفة فوق هذا البحر الواسع الفارغ.

ـ الليلة... يجب أن يتم هذا الليلة... فغداً سأكون بعيداً.

انتزعت نفسها من بين ذراعيه مبهورة ثم وقفت تنظر إلى البحر الذي كانت تسمعه دون أن تراه. كان المد يرتفع، وكأنه محيط من السعادة تطوف فوقها... فهل أحس البحر أيضاً أن هذا هو اليوم النهائي؟

اليوم الأخير... ضربت طبول قلبها... لترسل رسالة يأس... كيف ستتمكن من مواجهة الأيام الباقية في الإجازة بل كيف لها قضاء حياتها الفارغة بدونه؟

لم تدرك أنها وقعت في حب هذا الرجل إلى هذا الحد إلا في هذه اللحظات. استدارت ببطء فرأته يضع يديه في جيبه وينظر إليها نظرة مستقرة،

ثابتة.

دنت منه، ووضعت راحة يدها على صدره، فإذا بها تحس بأنفاسه تتسارع، وخفقات قلبه تضج. التفت يداها تغمره، لكن يديه بقيتا حيث هما، عندها قالت بصوت مرتجف:

ـ لقد ارتكبت ما لا يمكن غفرانه... لقد وقعت في الحب وأنا في إجازة... لكن الأمر لم يعد يهمني... أنا أعرف أننا على وشك الافتراق فأنت ذاهب. وبإمكانك نسيان أنني قلت لك ما قلت... أما أنا... أنا فلن أعلق أهمية حقيقية عليه. سأجبر نفسي على النسيان كما أجبرت نفسي على نسيان مايك...

ـ لا ريب في أنني سأتغلب على ما أصابني.

تدفقت دموعها دون إنذار عندا تحرك جريج ليعانقها ملاطفاً وهو يهزها. نفخت الريح بقوة، وكأنما تحاول إبعادهما عن بعضهما، كانت الأمواج يزداد صخبها مع أنهما ابتعدا عن الشاطىء.

تناهى إليهما أصوات ضاحكة تدنو منهما فافترقا وقد رأيا مجموعة من الشبان الضاحكين الصاخبين تقترب منهما. لكن يده لم تدعها دون أن تحثها على الذهاب إلى الفندق حيث رافقها إلى باب غرفتها الذي فتح ثم أشار عليها بالدخول ليعيد لها بعد ذلك المفتاح... انتظرت أن يودعها بأدب وأسى، لكنه دخل معها، واضاء النور.

أمسك وجهها ليرفعه:

ـ أريد قضاء الليل وأنت بين ذراعي.

ازدادت زرقة عينيها عتمة لتمتزج مع عينيه البنيتن:

ـ أنت تمزقني يا جريج... خاصة بعد ما قلته لك.

ـ أريد أن أحس بك بين ذراعي ولو مرة... مرة واحدة في عمرنا.

كانت تحس بأنها موافقة، لكنها تعلم أن عليها أن لا تدعه يخمن ما تريده خشية أن يظنها سهلة المنال وقالت:

ـ أمهلني بعض الوقت، سأتهيأ للنوم ثم أفكر مرة أخرى حتى إذا ما عدت

أعلمتك بقراري.

هبطت ذراعاه بعيداً عنها ثم ارتد على عقبيه دون أن يتكلم... وكان قد تناول المفتاح الذي أعطته له... دون أن ينظر إلى الوراء.

في الوقت الذي عاد فيه، كانت قد ارتدت غلالة نوم شفافة تمتد على جسدها كله، يغطيها روب مماثل يرتفع ويهبط من تأثير النسيم وهي تلتفت لتحييه. كان يرتدي روب المنزل. شعره مبلل من الحمام، كذلك لحيته. مد يده إليها، ليمر أصابعه في شعرها، ثم ليلمس وجنتيها، وعنقها. نزع عنها الروب ثم رماه أرضاً.

أرخى كتفي غلالة النوم، ثم راحت أنامله تلمس بشرتها الحريرية... فارتدّ رأسها إلى الوراء من السعادة.

اسودّت عيناه للحظات ثم أرجعها إلى الوراء ليستلقيا فوق السرير. حيث ضمّها إليه بين ذراعيه. يلمس بشرتها براحة يده الآن، بدل أنامله... عندما بلغا حداً لا رجعة عنه... أحست به يتوقف، فظلته ينتظر تشجيعاً منها وهذا ما فعلته... لكنه لم يحرّك ساكناً. كيف تخبره بأنها تريده؟ كيف تقول له إن كل ما تقوم به يدفعها إليه حبها له؟ وكأنما قرأ أفكارها... فرد عليها مبتسماً:

ـ لا... لا... أخبرتك أنني أريدك أن تقضي الليل بين ذراعي. لكنني أرفض أن أنتزع منكِ طهارتك يا فتاتي الحلوة. فإن كنت ستسمحين لرجل آخر بأن يفعل ذلك فهو شأنك... أما أنا... فسأتوقف عند هذا الحد قبل أن تأمريني بالتوقف كما كنتِ تفعلين مع حبيبك السّابق. كما أنني سأتوقف لأمنع عذاب جسدي، هذا إن لم أذكر عذاب ضميري.

أمسكت ذراعه:

ـ لكنني لن آمرك بالتوقف... ليس أنت... أنا... في الغد ستسافر... ولن أراك ثانية.

تدحرج إلى جانبه... ليسألها:

ـ لنفترض أنه نتج شيئاً عن هذا الأمر تصوري بما سنشعر.

ـ لن أعلمك بالأمر سأترك مشاكلي إلى نفسي وسيكون طفلي.

ـ وطفلي أيضاً.

ـ لكنك أخبرتني أنك جوّال... فكيف لي أن أعرف مكانك. وكيف لي أن أعلمك.

جذبها إليه ليضع خدها على صدره، ثم قال بلكنته:

ـ سأضمك إليّ... بعد فترة من الزمن ستتذكريني يا فتاتي الطيبة الصغيرة، على أنني الرجل الذي تراجع عنك بمحض إرادته. دون أن تدفعيه إلى هذا أولاً. والآن اجذبي الغطاء فوقنا لاطفىء الأنوار.

خرجت تنهيدة نبعت من أعمق أعماقها... استطاعت بعد ذلك أن تخمد بعض الإخماد النار المتأججة في ذاتها لتشعر بدفء ذراعيه. راضية مكتفية بوجوده قربها هذه الليلة. تمتمت وهي تغفو:

ـ يجب عليك... إزالة هذه اللحية... التي تحجب وجهك الحقيقي عني.

ـ سيكون لك ذلك يا حبيبتي سأحلقها. أقسم لك... لكنني أحذرك مرة أخرى وأؤكد لك أن النتيجة لن تعجبك.

في الصباح الباكر تركها، لكنه قبل أن يخرج عانقها بشغف فردت له عناقه بشغف مضاعف غير خجلة مما تفعل. أليسا حبيبين وإن كانت علاقتهما لم تتم.

سألها:

ـ ألن تبتسمي لي؟

غمرت ابتسامتها وجهها لكن تلك الابتسامة لم تمنع جسدها من الارتجاف. تأملها بضع لحظات ثم ذهب.

رن الهاتف وهي ترتب حاجياتها. قفزت إليه. ثم وبخت نفسها لأنها تركت مخيلتها تتغلب على منطقها:

ـ ثيرا؟ أجل لقد تأخرت... استغرقت في النوم، لكنني لست جائعة.

فسألتها ثيرا:

ـ ماذا حل بك وبه... لقد طار العصفور... أعرفت بهذا؟ لقد كنت وادي نتظرك في البهو عندما نزل أنيقاً.

ـ هل شاهدكم؟

ـ لقد نظر إلينا كمن يبحث عن شخص ما... فعمن تظنينه يبحث يا ترى؟ كان يحمل حقيبتين ويبدو مستعجلاً. بدا حقاً رجلاً ذا سلطة.

ـ هل قال شيئاً؟

ـ بدا مشغولاً جداً ومستعجلاً. لكنه هز رأسه ثم تمنى لنا عن بعد السعادة. وأنا... ألم يتمنى لي كل السعادة؟ أحست بالغصة! فقالت ثيرا وقد تملكها القلق:

ـ ما بك؟ ألم تعلمي بأنه مسافر؟

ـ أجل... كنت أعرف.

لا بدَّ من أن صوتها بدت عليه آثار الصدمة لأن ثيرا حثتها:

ـ ابكي يا عزيزتي، اتبعي نصيحة عمتك ثيرا... ودعي كل شيء يخرج من نفسك... لقد كان هذا غرام عطلة... لا يدوم أبداً أليس هذا صحيحاً؟

أحست بالسرور لأن ثيرا لم تتمكن من رؤية وجهها.

بعد جهد جهيد ردّت عليها تؤيد رأيها ثم اتفقت معها على اللقاء القريب لكنها ما إن وضعت السمّاعة حتى انهارت على الكرسي تغطي وجهها. لقد قال لها انها ستذكره على أنه الرجل الذي تراجع من تلقاء نفسه. وكان عند كلمته... لقد بقي طوال الليل يضمها إليه لكن شيئاً لم يحدث عدا ذلك. قدرته في السيطرة على أعصابه ما زالت تحيرها... فلو أنه فعلاً ذلك الرجل الذي يجوب العالم، ولا سبب لديها لتشك في هذا، فلماذا لم يكمل ما بدأه إلى النهاية رامياً كل النتائج خلف ظهره.

نزلت بالمصعد إلى حيث قد تجد صديقيها اللذين كالعادة لم يكونا هنا.

جلست تنتظر وهي تتأمل السياح المنتشرين على المقاعد حولها كما تأملت النزلاء الذين يدخلون ويخرجون عبر الأبواب الزجاجية... ومع ذلك لم تنتبه

لذاك الرجل الذي دنا منها.

لم تعد إلى أرض الواقع إلا بعد أن أحست بأن شخصاً قد احتل الجزء الآخر من المقعد المزدوج الذي تجلس عليه. شعره كان أشقر، وتعابير وجهه كريهة... سألها:

ـ هل أنت حزينة على حبيبك الضائع؟

ولولا ظروفها لما استثنت غياب الاحترام من كلامه، ومع ذلك ردت بحدة:

ـ ماذا تعني؟

ـ أنت تعرفين تماماً ما أعني... السيد باركو... انصحك بنسيانه يا حلوتي.

شحب وجهها، وبدا على معذبها أنه يتلذذ بعذابها:

ـ لماذا؟

ـ لماذا؟... لأنه على وشك الزواج... هذا هو السبب.

ـ أتعني أن هناك فتاة تنتظره في بلاده؟

ـ أعني أن لديه فتاة تنتظره، واضعة في اصبعها خاتماً من الياقوت والالماس، إنه ثري. لذلك قلت لك أن تنسيه... انه أبعد من أن تصلي إليه.

●●●

٦ ـ الرجل الوهم

قضت رحلة العودة إلى الوطن وهي تتظاهر بقراءة مجلة، أما ڤيرا وادي فقد أظهرا تفهمهما لواقعها واحترامهما لعزلتها خاصة عندما أخبرتهما بأن جريج كان خاطباً قبل أن تتعرف إليه.

عانقتها ڤيرا وادي، قبل أن يتركاها عائدين إلى منزلهما... وهو عبارة عن غرفة في منزل والديها. ينوي ادي يوماً أن يسعى لشراء منزل خاص بهما.

فتحت باب شقتها ثم دفعت نفسها دفعاً إلى الدخول لكنها كادت تتعثر بسبب كومة من الرسائل والصحف التي بقيت تصلها حتى وهي غائبة.

تناولت الرسائل التي وجدت بينها بطاقات بريدية من اصدقاء يمضون العطلة في انحاء شتى من العالم إضافة إلى فواتير وإعلانات لكنها رأت في أسفل هذه الرسائل مغلفاً كبيراً سميكاً كتب عليه العنوان بخط اليد وهو مرسل من نيويورك. كان هذا المغلف هو ما تنتظر أن يصلها بيأس.

رمت كل شيء من يدها، وسارعت إلى غرفة الجلوس وفتحت المغلف... فإذا بها تجده مليئاً بالصور الملوّنة التي لم تجد بينها أية رسالة. فتشت عبثاً عن شيء ما يدلها على عنوان أو أي شيء من هذا القبيل ولم تجده. فكل ما وجدته كان ورقة منتزعة من دفتر ملاحظات، تحمل كلمات: إلى كاثي... من ج. حدقت إلى الكلمات فترة طويلة... كيف له أن يكون قاسياً إلى هذا الحد، فهو قد ضنّ عليها حتى بتوقيعه الذي أرادت أن تحتفظ به في ذاكرتها.

أثارت الصور ذكرياتها حتى كادت تجهش في البكاء، لكنها لم تلبث أن أعادت الصور بيدين مرتجفتين إلى المغلف ثم أبعدت نظرها بعيداً فلم تطالعها صورة الغرفة التي هي فيها الآن بل صورة البحر الأزرق ورماله الذهبية الممتدة إلى ما لا نهاية وصورة رجل مديد القامة يقف قربها، يمد يده لينتزع نظارتها الشمسية كي يشاهد عينيها، اللتين كما قال لها، هما أشدُّ زرقة من لون البحر.

أمضت كاثرين اليوم التالي تغسل وتنشف الثياب، وتحضر نفسها للعودة إلى العمل لكن روحها المعنوية كانت منخفضة.

الترحيب الذي لاقته من زملائها في المكتب كان حاراً. فقد أخذ مدير قسم شؤون الموظفين إجازته باكراً، وترك مساعدته لأعباء تبلغ ضعف واجباتها العادية.

قالت لها الآنسة جيفرسون، مساعدة المدير بلهجة اعتذار:

ـ أنا آسفة لأنني سأطلب منك في أول يوم لك في العمل، البقاء وقتاً إضافياً هذا المساء لطباعة هذه الرسائل؟

وافقت كاثي لأنها غير مشغولة بشيء آخر بل إنها لم تتزعج من إضافة أعباء أخرى إلى كاهلها. بعد تناول وجبة عشاء خفيف في مطعم الموظفين في الطابق العلوي، خرجت من المصعد لتتجه نحو مكتبها. متسائلة كم سيلزمها من وقت لإنهاء الرسائل.

لمحت وهي تسير إلى مكتبها. رجلاً مديد القامة أسود الشعر يوشك على دخول غرفة. كان يرتدي بذلة رمادية وربطة عنق كحلية... لكنه اليوم بدا حليق الذقن.

لا شك في أنه أحس بأن شخصاً يحدق فيه، لأنه صوّب ناظريه إليها... ارتفعت يد كاثي إلى فمها ثم إلى حنجرتها، وأحست بالممر يدور بها، ويميل من جانب، إلى آخر. فتحت عينيها جيداً، وتأكدت من أنه يقف على بعد خطوات منها.

شعرت بخدها تحت ملمس يدها بارداً كالثلج. فقد عرفت الآن أين شاهدت ذلك الوجه من قبل... لقد شاهدته هنا، في مجلة شركة ايستمان كوربريشن السنوية... هو إذن أحد رؤساء الشركة الكبار... ومع ذلك أسمعها ما لا عدد له من الأكاذيب!

جاءها صوته بارداً، وتعبير عينيه متحفظاً:

- هل استعدت وعيك من الصدمة؟

- أجل... شكراً لك.

صعب عليها منع ذاتها من النظر إلى وجهه الذي راحت تبحث فيه عن حرارة ملتهبة ولّت ربما إلى الأبد.

مسح خده ثم قال:

- لقد وفيت بوعدي... أما حذرتك من أنك ستندمين عندما أحلقها؟

- ما تفعله لا يعنيني... أليس كذلك؟

لم تدرِ كيف تمكنت من إظهار عدم الاكتراث!

- إذن لقد عرفت أن لدي خطيبة... من أخبرك؟

- زميلك الأشقر.

لاحظت أن شفتيه المليتين، قد أصبحتا في خط مستقيم من الغضب. رفع يده لينظر إلى ساعته... ثم سألها:

- ماذا تفعلين هنا؟

- أعمل هنا.

- أعرف هذا... لكنني أعني في مثل هذه الساعة؟

- أعمل وقتاً إضافياً حسب طلب مساعدة المدير. فهو في إجازة.

هز رأسه ثم استدار مبتعداً عنها... فقالت:

- شكراً على الصور التي لم أتوقع وصولها ذلك أنني ما أعطيتك عنواني.

أجابها بعدم اكتراث فرّق كبرياءها.

- لقد طلبت من سكرتيرتي البحث عنه في ملفك... وهذا وعد آخر

وفيت به.

ترددت... إنما لأن إحساسها بأن جرحاً عميقاً ما زال ينزف في داخلها سألته:

- هل تفي بكل وعودك؟

أحس كلاهما بأن السؤال جدي وخطير جداً. فأجاب:

- كل الوعود... دون استثناء.

لم تستطع كائي هز رأسها بسبب الألم الذي أحست به. فتحت باب مكتبها ودخلت، تسير غير متوازنة لترمي نفسها فوق كرسيها، وتريح مرفقيها إلى الطاولة، ممسكة وجهها بين يديها.

ثمة الكثير مما قاله... الكثير من الأكاذيب... الكثير من الحديث العذب... الكثير من الساعات السعيدة الزائفة... والكثير من العبث الغرامي الأناني!

هي لا تنكر أنها كانت على يقين من أنهما سيفترقان... لكن ليس بهذه الطريقة. ليس بوجود هذه الهوة التي لا يمكن ردمها أو الوصل بين شقيها بينهما.

سألتها الآنسة جيفرسون عندما دخلت:

- هل تشعرين بشيء؟

هزت رأسها:

- ببعض الصداع.

- لو أخبرتني لما رضيت ببقائك. الخير لك الآن في الذهاب.

هزت كائي رأسها رافضة بقوة... كيف تذهب إلى المنزل لتواجه ذلك الفراغ؟ أمسكت بسرعة الأوراق ثم شرعت في الطباعة. بعد قليل رن جرس الهاتف في غرفة المساعدة... فلم تتحرك كائي من مكانها بل تركت للآنسة جيفرسون فرصة الإجابة. عندما انتهت الآنسة جيفرسون من المكالمة التفتت إلى كائي قائلة:

ـ لقد اتصلت سكرتيرة السيد باركو. فقالت انه موجود حالياً في الشركة مدة يومين أو أكثر وقد رآك ويعتقدك مريضة لذا بلّغها أمره بأن تعودي إلى منزلك.

ـ لا حاجة لأن أذهب إلى منزلي آنسة جيفرسون.

ولا بد من أن المرأة الرمادية الشعر اللطيفة، قد لاحظت لهجة الرجاء في صوت كائي... فقالت:

ـ لقد لاحظت أنك ستتمسكين بفرصة العمل هذه لكن يجب أن تذهبي يا عزيزتي، فالأمر صادر عن السيد جريجوري بنفسه.

ـ سيد جريجوري؟

ـ أجل... نحن ندعوه بهذا الاسم للتفريق بينه وبين والده، رئيس الشركة، والمسؤول عن المكتب الأوروبي الرئيسي في مدريد... يقال انه عندما يتقاعد والده سيتولى بنفسه رئاسة الشركة. لقد حسبتك تعرفين ذلك بعد ستة أشهر من العمل في هذه الشركة.

فابتسمت كائي:

ـ عندما نتحدث نحن السكرتيرات معاً، لا نناقش أمور رجال السلطة.

ظهرت السخرية في صوتها، فردت الآنسة جيفرسون ذلك إلى ألم رأسها، فلم تعلق... راقبتها وهي تضع الغطاء فوق الطابعة ثم قالت لها:

ـ لقد سمعتك تتحدثين خارج الغرفة الآن... وظننتني سمعت صوت السيد جريجوري.

عرفت كائي أن عليها أن تكون صادقة:

ـ صحيح... لقد كنت أتحدث مع السيد باركو.

انتظرت الآنسة جيفرسون، ثم أدركت أنها لن تحصل على توضيح، فعلقت:

ـ لم أكن أعرف أنك تعرفينه يا عزيزتي.

تناولت كائي سترتها وحقيبتها.

ـ أنا لا أعرفه بما للكلمة من معنى.

بل الواقع يؤكد أنها تعرفه بكل ما للكلمة من معنى.

بعد ليلة أخرى من الأرق والسهاد، نهضت كائي باكراً من فراشها. استحمت، فأحست بالانتعاش، لكن ارتفاع معنوياتها تلاشى أمام التوتر الذي اجتاحها وهي تدخل مبنى المكاتب التي تشكل «ايستمان كوربريشن».

استخدمت السلم في الصعود إلى الطابق الرابع حيث مكتبها، آملة أن يقلل ذلك من فرص لقائها بجريج باركو. ومع ذلك فقد وجدت عينيها تبحثان في كل الزوايا عن ذلك الرجل الأسود الشعر.

وصلت قبل الجميع لأنها كانت على عجل. فلما دخلت ڤيرا بعد فترة وجيزة، تبادلتا التحية وكأنهما لم تشاهدا بعضهما منذ زمن بعيد.

ـ لقد سمعت أن ابن السيد باركو، موجود هنا في نيويورك، بعيداً عن مركز عمله الأصلي، وسيبقى بضعة أيام... كم أحب أن أراه! يقولون انه شخصية رائعة!

لم تكن الآنسة جيفرسون هناك، وهذا ما ترك الحرية لكائي:

ـ من أخبرك عنه؟

أمسكت ڤيرا ورقة رسمية من أوراق العمل:

ـ ألم تنظري مرة إلى الأسماء في أسفل الصفحة؟ السيد ج. والسيد ج... والسيد ش...

ـ من هو السيد ش.؟

ـ شاين باركو شقيق السيد جريجوري باركو وابن السيد جورج باركو الأصغر. ثمة اسماء أخرى عديدة اقرئيها.

ـ وهل شاين مدير عامل... كالآخرين؟

جلست ڤيرا على حافة مكتب كائي استعداداً للأقاويل:

ـ أظن أن من المفروض أن يكون هكذا. أنت تعلمين ما يدور عن أن في كل عائلة ابناً ضالاً. لقد أخبرني رئيسي أن شاين هو ذلك الابن في عائلة

باركو. إنه لم يزر المكاتب منذ سنة تقريباً الآن... ولا أحد يعرف مكان وجوده

بعد نظرة إلى ساعة الشركة، علمت كائي أن الآنسة جيفرسون قد تدخل في أية لحظة... فابتسمت لڤيرا:

- ڤيرا... ثمة شيء لا بد من أن تعرفيه... حسناً... لن تصدقي... أتذكرين جريج؟

- إنه ليس من النوع الذي قد ينساه أحد؟ هل علمت عنه شيئاً؟

- بل أكثر من هذا. لقد شاهدته، وتحدثت إليه إنه هنا يا ڤيرا! في هذا المبنى. إنه السيد ج. باركو... ابن السيد جورج باركو.

- جريجوري؟ لا يعقل ذلك؟ لقد كان اسمه جريج... لا...

صدمتها الحقيقة، فتابعت شاهقة:

- أهو اختصار لجريجوري؟

اتسعت عيناها... فأضافت كائي:

- يبدو بدون اللحية شخصاً مختلفاً. لقد حذرني بأنه عندما سيحلقها سأجد رجلاً لن يعجبني وقد أصاب في قوله لأن هذا الرجل الجديد لم يعجبني.

- لكنك ما زلت... هل اجرؤ على القول... تحبينه؟

هزت كائي رأسها:

- لم يكن سوى افتتان.

لكن قلبها صاح بأنه لم يكن قطُّ افتتاناً بل كان حباً وما زال.

قالت ڤيرا تواسيها:

- أيتها المسكينة. هو خاطب كذلك. عليك التفتيش عن رجل آخر. فهذه أفضل طريقة لنسيانه.

توجهت نحو الباب، فضحكت كائي على هذه الحكمة التي خرجت من فم صديقتها التي أحبت منذ أن كانت في السابعة عشرة من عمرها رجلاً واحداً تزوجته وهي في الثانية والعشرين. فتحت ڤيرا الباب لتجد الآنسة جيفرسون على أهبة الدخول، فحيتها وقالت لكائي:

- أراك فيما بعد.

قالت الآنسة جيفرسون لكائي وهي تملس شعرها:

- لقد قابلت منذ قليل جيني سكرتيرة السيد باركو. التي قالت إنهم بحاجة إلى مساعدة مكتبية، قد سألتني إن كنت استطيع الاستغناء عنك... وقد اضطررت إلى الموافقة. عندما يطلب الرئيس...

مدت يدها ثم هزت كتفيها مردفة:

- سيعطيني سكرتيرتين جديدتين بدلاً عنك.

بدت الحيرة على كائي.

- هل طلب هذا بنفسه حقاً، أم أن جيني صاحبة هذه الفكرة الرائعة؟

- صاحب الفكرة قطعاً هو السيد باركو.

دخلت إلى مكتبها...

لكن كائي كان لها آراء أخرى بشأن الموضوع. فبعد تلك العلاقة فوق جزيرة لا شك في أنه لا يريدها قريبة منه إلى هذا الحد.

عادت الآنسة جيفرسون، بعد أن تخلصت من حقيبتها وسترتها:

- المشكلة هي، أن زوج جيني قد توظّف في نيوجرسي... وهي مضطرة لترك عملها لمرافقته وهذا ما حدا السيد باركو إلى التفكير في أن تتولى وظيفتها.

أحست كائي بوجنتيها تحترقان فودت لو أن الآنسة جيفرسون لا تلاحظ احمرارهما. سألتها بحيرة حقيقية:

- لِمَ أنا؟

- هذا ما تحدثت عنه مع جيني التي كانت تعتقد كما أعتقد أنه لا يعرف حتى بوجودك.

دعتها سكرتيرة السيد باركو قائلة:

- تفضلي اجلسي آنسة لونرغان. السيد باركو على الهاتف... سأعلمه ما إن ينتهي عن وجودك.

ابتسمت المرأة الشابة الجذابة لكائرين وسألتها:

- هل دهشت لسماعك خبر هذا التغيير؟

فضحكت كاثي:

- ولكنه تغيير لم يتم بعد.

ابتسمت السكرتيرة:

- سيتم. فما يقوله السيد باركو يُنفَّذ في هذه الشركة. على فكرة، أنا جيني.

- وأنا كاثي.

هزت جيني رأسها وكأنها تعرف، ثم نظرت إلى الهاتف:

- يبدو أنه أنهى مكالمته.

رفعت السماعة:

- سيد باركو... الآنسة لونرغان هنا.

ثم وجهت كلامها إلى كاثي بعد أن أقفلت الخط:

- يقول ان بإمكانك الدخول.

ابتسمت مشجعة ثم أردفت:

- لا داعي إلى هذا التوتر كله فهو لن يأكلك أو يعضك.

رددت لنفسها: أعرف هذا، فهو ينصب الشرك فقط، ويضع الطعم ويزينه بالأكاذيب الجميلة، ثم يعصر الحياة من القلب عندما يطبق الشرك على فريسته.

ما إن دخلت، حتى هب عن الكرسي واقفاً، فتساءلت عما إذا كان يظهر مثل هذه الكياسة والأدب مع سكرتيرته في كل مرة تدخل فيها إليه.

- كاثي.

شيء ما عاد إلى الحياة مجدداً عندما سمعته ينطق باسمها. لو أغمضت عينيها لعاودتها ذكرى وجودهما معاً على الشاطىء غارقين في حب ملتهب والمد يطبق عليهما.

أشار إلى كرسي لتجلس، فقبلت بسرور. عاد إلى الجلوس، فتلاقت عيناهما مجدداً، عيناه باردتان لا تعبير فيهما. بل صمت قطعه بعد فترة غير

وجيزة صوته:

- حسناً؟

أحست بألم في صدرها:

- كيف أمكنك هذا؟

- كيف أمكنني ماذا؟

- أن تجعلني اؤمن بما آمنت به... كاعتقادي بأنك وحيد تجوب العالم من مكان إلى آخر، دون ارتباطات أو استقرار.

- إن كنت قد استنتجت هذا كله مما قلته لك. فليس لك أن تلوميني.

- ولكن هذا كان ما قلته...

فقاطعها:

- لكنني الآن أقول شيئاً. أريدك سكرتيرة لي... ستدربك جيني قبل أن تتركَ... راتبك سيزداد، ومركزك سيرتقي.

قالت بصوت متوتر:

- لن أكون سكرتيرتك! أقول لك: «لا أريد الوظيفة أو المركز. لك أن ترميه في بحيرة... شكراً على هذا العرض».

أطبقت أسنانه، وكذلك قبضتاه اللتان رفعهما ليضرب بهما الطاولة... لكنه عاد فردع نفسه عن ذلك قبل أن تصلا إلى غايتهما ثم لم يلبث أن أنزلهما وأرخاهما فوق الطاولة.

- إن خيرتك بين قبولها وبين طردك من الخدمة فأيهما تختارين؟

- الطرد.

لم تستغرق عيناه سوى ثانيتين لتوصل الجليد الذي فيهما إلى عينيها.

- إذن، فليكن الطرد... اعلمي أنه منذ الآن سيصلك ما تدين به الشركة لك.

شحب وجهها إلى درجة الابيضاض:

- لا يعقل أن تقصد ما تقول؟

رن جرس الهاتف، فرفع السماعة وأصغى، ثم قال:

ـ نعم... اعطني المكالمة.

أخذت يتحدث ويبحث بين الأوراق عن وثيقة مهمة، فوقفت متجهة نحو الباب. كانت يدها ترتجف وهي تمسك قبضة الباب. واستدارت لتخرج فلمحته يراقبها اثناء خروجها.

بعد وجبة المساء، اتصلت بثيرا التي رفضت تصديق كلمة مما قالته لها:

ـ السيد باركو لا يفعل شيئاً كهذا... خاصة لك... أعني بعد ما حدث في العطلة...

ـ لم يحدث شيء... أعني واقعياً لم يحدث شيء.

ـ حسناً أقبل هذا، ولكن لماذا رفضت عرضاً يشبه الهدية؟ لا بد أنك مجنونة يا كاثي! لا أريد إغضابك، لكنك صديقتي، إذا لم يتصارح الأصدقاء فمن يتصارح؟

ـ أعرف أنني مجنونة. لكنني لم استطع قبولها. فالعمل معه، والبقاء معه يوماً بعد يوم... ألا تفهمين ماذا يعني هذا؟

ـ كل ما استطيع قوله انك مجنونة مرتين: أولاً لأنك رفضت الوظيفة، ثانياً لأنك وقعت في حبه. ألم يدفعك خبر خطوبته إلى بعض التعقل؟

ـ أتقصدين أن خطوبته يجب أن تجعلني أدرك أنه أبعد من منالي؟ أنت على حق... فلو قلت لنفسي مرات ومرات «انه خاطب» لتمكنت من التصديق. لكن لم يعد الأمر يهم... فلن أراه ثانية.

ـ صحيح... ولكن من المؤسف أنه اضطر إلى طردك. أتظنينه يمنحك كتاب توصية؟

ـ أمل أن لا يصل مثل هذا الطلب إليه في الشركة... لأنني سأعطي اسم مدير شؤون الموظفين عندما يلزم الأمر. فهو كان مديري المباشر.

بعد أن ذهبت صديقتها سارعت إلى درج خزانتها تبحث عن الصور ثم راحت تحدق في كل واحدة فيها... وفي النهاية تخلت عن الادعاء بأنها ليست هي المتعلقة بذراع جريج، أو هي التي تحدق فيه بمثل هذا الحب. فمن الأسهل، كما اكتشفت أن تتقبل واقع أن ذلك الرجل ليس جريجوري باركو. وأن

ذلك الملتحي الضاحك المسترخي، هو شخص مختلف عن ذلك الحليق الحاد الذهن، الثلجي النظرات، الذي طردها هذا الصباح.

رن جرس الباب فهبت من مكانها تلقائياً مسببة بذلك تبعثر الصور على الطاولة ثم لما فتحت الباب أحست بالمبنى كله يهتز أم أن اهتزازها هو الذي هز المبنى عندما رأت الرجل الواقف في الباب.

ـ لو علمت أنني إن وضعت لحية زائفة ستبتسمين لفعلت ذلك.

تبتسم؟ أنّى لها الابتسام وهي تتذكر «البوم» الطوابع الذي وعد بأن يجمع فيه ابتساماتها. فأجابته بقساوة:

ـ نفذت مني الابتسامات قبل أن تنتهي إجازتي.

ثم لا شعورياً فتحت الباب وهي تلعن نفسها لأنها أذنت له بالدخول.

لما رأى الصور المبعثرة أشار إليها:

ـ ماذا كنت تفعلين؟ أتصبين جام غضبك عليها؟

ـ لو فعلت لكانت الآن ممزقة شرّ تمزيق.

انحنت تجمع الصور التي التقطها لها ثم نظرت إليه فإليها ومدت يدها لترميها في سلة المهملات، لكن شيئاً ما ردعها وأوقفها وجعلها تستبدل رميها بوضعها على قلبها.

ابتسم، وكأنه يقرأ خواطرها.

ـ هل قررت التخلص من الرجل نفسه بدل صورته؟

ـ أنت على حق... فهذا الرجل كان إنساناً محباً... كان رجلاً خيالياً أما الحقيقي، فإنه كابوس.

ـ شكراً على هذا... كان علي أن أضع تلك اللحية. لتعودي عندها إلى أحلامك.

ـ لكن تلك اللحية لم تكن مستعارة بل كانت وهماً كالرجل الذي تقمصها، لقد أطلقت ما لا عدد له من الأكاذيب وهذا ما لن أغفره لك.

كان صامتاً جامداً، فاستدارت لتنظر إليه، لكنها كانت حركة غبية. فقد شاهدته جالساً، مادّاً ساقيه، وكأنه في مكان ينتمي إليه. كانت عيناه تبتسمان

لهجومها... جسدها وكيانها وروحها التي تذكرت لمساته جعلتها ترغب كل الرغبة في رمي نفسها بين ذراعي... هذا الرجل... لا ذاك الطاغية الذي كان وراء المكتب.

عقد ذراعيه، ثم أطرق رأسه منتظراً، وكأنه يترقب منها إظهار كل الغضب الذي يعتمل في داخلها.

نظرت إلى الصور التي ما زالت تمسك بها وقالت:

ـ لقد ادّعيت أن لا زوجة لك. لكنك أهملت أن تقول إن لديك خطيبة. فماذا تدعو ذلك إن لم يكن مراوغة؟

بقي صامتاً، وقد ضاقت عيناه...

جلست وقد أحست بحاجة ملحة إلى الراحة. ثم أردفت بصوت حل الأسى فيه مكان الغضب:

ـ ذلك... ذلك الكلام السخيف عن إعجابك بابتسامتي. كان كذباً كذلك! لقد قدمت لي كل تلك الإطراءات لتحصل على ما تريد.

وقف جريج عن كرسيه وأمسك ذراعها ثم شدها ليجذبها إليه. راحت يداه تنسلان إلى شعرها البني الناعم رافعاً رأسها إليه.

ـ أو تظنين هذا؟

أفلتت منه... ثم التفتت قائلة:

ـ لن أدعك تلمسني... فأنت رجل خاطب. ليس من حقك العبث إلا مع خطيبتك!

شدت أصابعه على مؤخرة شعرها، وكأنه لم يسمع ما تقول. فقد بدا مصمماً على تنفيذ ما يريد، فاسترخت بين يديه دون مقاومة.

عندما أغمضت عينيها نسيت كل ما يحيط بها في الشقة وتذكرت فقط غرفة فخمة في فندق ساحر، وأمواج تتكسر على الشاطىء في الخارج.

كان سهلاً كذلك أن تتصور أن الرجل الذي يضمها هو ذلك الرجل الملتحي الموجود في الصورة. لذلك عندما بدأت تتقبل العناق وترده إليه، تلف ذراعيها على رقبته، فعلت هذا بشوق كامل دون أن تحاول التراجع.

لمساته المشبوبة أوصلتها إلى حافة نسيان الزمان والمكان... ونقلتها من الواقع إلى عالم ساحر من الأحلام.

لكن عقلها قاوم، وأعادها متعثرة إلى دنيا الواقع... فماذا تفعل بين ذراعي هذا الرجل، وكيف تسمح له بأن يجعلها ثانية فتاة لامعة العينين، مغرمة يمتع نفسه بها فوق الجزيرة.

نفضت عنها ضعفها، الذي حوّل أطرافها إلى سائل... وتجاهلت النار التي أشعلها فيها، فانسلت من بين ذراعيه. فسأل:

ـ حسناً؟ هل تذكرت الآن ما إذا كان اطرائي مجرد توطئة لحصولي على ما أريد؟

صمتت... محاولة مقاومة اغراء العودة إلى ذراعيه. وهزها قليلاً:

ـ فكري في الليلة التي قضيناها معاً.

أشاحت وجهها عنه، لكنه أرجعه بيده وتابع:

ـ لقد مارست أقصى درجات ضبط النفس بينما كنت تتوسلين أن أكمل.

نفرت منه، لكنه أمسكها... إنه لن يسمح لها حتى باخفاء ذلها:

ـ ليس ذلك فحسب لأننا في تلك الليلة تباحثنا حتى في إمكانية حملك طفلي.

فصاحت في وجهه متألمة:

ـ لا تذكرني بهذا.

لكنه تابع دون رحمة:

ـ وقلت لك إنك ستذكريني على أنني الرجل الذي تراجع عنك بمحض إرادته. دون أن تفرضي عليه التوقف.

ـ أجل... أجل... صحيح دعني وشأني

اشتدت اصابعه عليها وعلمت أنها في الصباح ستجد أثرها على ذراعها... لان صوته:

ـ ولقد دعوتك «فتاتي الطيبة الصغيرة».

ـ أعلم هذا... ولكنه لم يكن يعني شيئاً. كل توددك إلي كان دون معنى.

فأنت ما منعت نفسك عني إلا لأن لك خطيبة.

دفعها عنه. وقد قست عيناه، وارتفع رأسه، ودس يديه في جيبه. فقالت له وهي تحس بالألم:

ـ لقد استغليتني في الجزيرة... فرغم سيطرتك على رغباتك. كنت مشتاقاً إلى خطيبتك، فاستغليتني... مستخدماً طعمك...

فضاقت عيناه:

ـ طعمي؟

ـ أجل... عيناك... كان فيهما نظرة... تقول «تعالي».

بسمته لونتها السخرية:

ـ وبناء على تلك الدعوة جئت. ما كان يجب أن تأتي فلولا رغبتك في أن تلتقطي الطعم لكان بإمكان عينيك الزرقاوين القول لي «اغرب عن وجهي».

حاولت محاكاة سخريته بسخرية مماثلة:

ـ لكنك ما كنت سترضى بأن تغرب عن وجهي!

طافت نظرة مشتاقة فوق حنايا وجهها وقسمات جسمها:

ـ ذلك أمر صعب... ففيك ما يدعو الإنسان إلى الذهاب إلى الجحيم مسروراً.

ـ يا للطفك... لكنني لو استجبت لدعوتك...

ـ لكنك استجبت.

ـ... هذا لأنني أحسست بأنني شاذة أمام زوجين تزوجا حديثاً.

أصدر صوت من لا يصدق ما يسمع عندها رفعت رأسها بكبرياء مصممة على قلب الحقيقة:

ـ الأمر لم يكن يتعلق بسحرك الذي لا يقاوم، كما تظن... بل كنت مجرداً من الضمير، كهذا الصباح عندما طردتني من العمل.

تقدم منها:

ـ اوه... لا... لا يمكنك رمي المسؤولية على كاهلي... لقد طردت نفسك بنفسك.

الحقيقة لا يمكن إنكارها. فوقفت على قدميها ونظرت إليه متحدية، فقال وهو يتجه إلى الباب:

ـ لقد جئت كي اسحب قرار الصرف من العمل، ولكن بما أنك ترينني مجرداً من الضمير فسأكون كما تعتقدين. وليستمر أمر الطرد.

ـ جريج!

كان صوتها كصرخة حيوان جريح... كان قد وصل إلى خارج الباب فطارت بها قدماها إليه، وأمسكت بذراعه، ولكنه انتزعها منها وقال بخشونة:

ـ ماذا تريدين؟

كان يدفعها دفعاً إلى التوسل.

ـ أريد وظيفتي! اعد لي وظيفتي!

عاد إلى الغرفة ثانية:

ـ كسكرتيرة لي؟

ـ نعم... نعم... أرجوك!

ترضى بأي شيء. أي شيء قد يبقيها قريبة منه ثانية.

أحست بغموض الكهوف في عينيه، لكنه لم يلبث أن تلاشى.

ـ أول شيء تفعلينه في الصباح هو ذهابك إلى جيني. وبعد اسبوع ستكون الوظيفة لك.

خرج قبل أن تشكره.

●●●

٧ ـ خائفة منك!

كان ذلك الأسبوع طويلاً... لكن كاثي تعلمت فيه الكثير. تعلمت أن السيد باركو يطلب الإخلاص والولاء من سكرتيرته التي لا بد من أن تكون سريعة، دقيقة، ومتيقظة لأنه عندما تتدافع دقة العمل وتزداد يتوقع منها البقاء حتى ينتهي كل العمل المكدّس.

السيد باركو يغيب كثيراً فهو إما في مدريد لرؤية والده، أو مسافراً ولأسباب عملية. وعليها اثناء غيابه، كما شرحت جيني، أن تهتم بشؤون العمل التي تزداد بدل أن تخف... فعليها الإجابة عن المكالمات دون أن تستشيره وعليها أن تجيب عن الرسائل بأية إجابة حتى يعود.

ـ إنها وظيفة ذات راتب مرتفع ولكنك تدفعين الثمن وأنت تعملين، فهل أنت واثقة من قدرتك على حمل اعبائها.

كان هذا آخر يوم في الأسبوع وكانت كاثي تتوقع هذا السؤال. فأجابت:

ـ استطيع حمل عبء أي شيء قد يعطيني إياه السيد باركو.

ـ يسرني ما أسمعه منك يا آنسة لونرغان.

جاءها هذا الصوت العميق من جهة الباب المشترك... ابتسم جريج عندما رأى اللون الذي خضب وجنتي كاثي:

ـ جيني... ما رأيك الصريح بقدرات سكرتيرتي القادمة؟

فابتسمت جيني لكاثي وقالت لها:

ـ لن تمانعي فيما لو كنت قاسية في صراحتي؟...

هزت كاثي رأسها وقلبها يخفق... فبعد أن رفضت بإصرار الوظيفة في

البداية انقلب رفضها إلى التمسك بها أشد التمسك، لأنها لن تسمح لها بأن تكون قربه فحسب، لساعات عديدة، بل سترضي تصميمها بأن تقابل التحدي الذي تحتويه هذه الوظيفة. تابعت جيني:

ـ حسناً... اظنها ستكون مدعاة فخرك.

ابتسمت كاثي شاكرة والتفتت لتتحدى الرجل الذي قيل هذا الرأي له. لكن التحدي انقلب إلى تساؤل عندما رأت النظرة الحانية الدافئة التي كان يرمقها بها. هذه النظرة التي اختفت حتى قبل أن تتأكد منها وقبل أن تلحظها الشابة التي كانت تراقبهما.

تلاشى خوف كاثي من أن تكون جيني قد لاحظت شيئاً يربطهما عندما تنفست الصعداء وقالت:

ـ أشكر الله لأنني لم اضطر إلى إثارة غضب أي منكما!

ـ لقد عنيت ما قلت، لم أقصد الإطراء الفارغ.

ضحك جريج... فأجفلت كاثي لسماعها صوت ضحكته التي لم تسمعها منذ تلك الليلة في الفندق. قال:

ـ أعرف جيداً أنك تقولين ما في ذهنك يا جيني. وأعرف من خلال خبرتي أن كاثي مثلك أيضاً. ولهذا تكون صراحتك أساس جيد لتدريب سكرتيرتي الجديدة.

نظرت كاثي بخوف إلى جيني، متسائلة عما إذا كانت ستتساءل عن سر معرفته لأطباع الفتاة التي يفترض أنه لم يلتقها إلا منذ اسبوع.

مرت اللحظة... ولم يبدُ على جيني أي حيرة... رن جرس الهاتف، فأسرعت جيني إليه، ورفعت السماعة ثم توقفت، ونظرت إلى كاثي لتسألها برفع أحد حاجبيها عما إذا كانت ترغب في القيام بعملها.

عندما انتهت المكالمة، صفقت جيني بيديها قائلة:

ـ كنت أعلم أنك ستتولين العمل دون صعوبة... سيد باركو... لقد اخترت رقماً رابحاً هنا.

يوم الجمعة وصلت كاثي إلى شقتها لقضاء نهاية الأسبوع، التي شعرت بأنها ستكون عطلة طويلة. كانت تقول لنفسها إنها دون شك مجنونة لأنها تسمح للأمور بالوصول إلى الدرجة التي تعتبر كل دقيقة تقضيها بعيداً عن جريج مضيعة للوقت.

مرت نهاية الأسبوع ببطء. لم تستلم خلالها سوى مكالمة من ڤيرا التي شاءت أن تعرف ما إذا كانت كاثي ستمضي في الوظيفة الجديدة، فردت عليها:

ـ لقد كان تقرير جيني عني ممتازاً، فهي تظن أنني سأتمكن من القيام بعملي خير قيام.

ـ بم تشعرين بشأن الموضوع؟

توقفت كاثي لتفكر، ثم قالت:

ـ الحقيقة أنني في صراع. سأكون في معركة فرضية ضد الخضوع لأي كان... حتى السيد ج. باركو.

فضحكت ڤيرا:

ـ هذا جيد لك، أتمنى أن تواجهيه بصبر حتى في اسوأ أمزجته التي كما قال رئيسي يملك الكثير منها.

قاطعتها كاثي:

ـ ڤيرا... أنت لم تخبري أحداً... بصدد ما جرى بيني وبينه في الباهاما؟

ـ وكيف أخبر أحداً عن ذاك الأمر. ألست صديقتك؟ اوه... ادي يبلغك حبه.

ـ شكراً له... اوه قبل أن تقفلي الخط يا ڤيرا... هل شاهدت يوماً خطيبته؟ لا... هل شاهدها أحد الموظفين... أبداً؟

ـ أنا لا أعرفها لكن يقال إنها باردة متملكة، أنانية مستقلة. اسمها سالينا باترسون، إذا أحببت أن تعرفي.

ـ الاسم ليس غريباً عني.

ـ سأذكر ما يساعدك على تذكرها، كانت عارضة أزياء شهيرة. توقفت عن مهنتها الآن، بناء على إصرار خطيبها، على الأقل هذا ما يشاع.

ـ هذا يعني أنها فائقة الجمال.

ـ ربما يا عزيزتي... اسمعي... يجب أن تتوقفي عن التفكير في هذا الرجل. الذي لا يمكن أن يكون لك والدلائل التي تشير إلى ذلك عديدة قد رأيتها بأم عينك.

ـ كان علي أن أراها ولو كنت عمياء. لكن أنت تعرفين ما يقال عن الحب.

ـ «الحب» إنه شيء لا يجب أن تفكري فيه كاثي. فأنت عرفته منذ فترة وجيزة، فكيف لك أن تحبيه؟ بالله عليك يا كاثي!

أجابت كاثي بأسى:

ـ هذا ما حدث... هذا ما حدث. سأراك وادي في وقت قريب وداعاً!

بدأت صباح الاثنين بالعمل باندفاع ورغبة سعياً إلى الحصول على المزيد من المعلومات عن العمل.

كان لمخدومها مقاييس معينة متطلبة في العمل، فقد يسامحها على هفوة ما لكن إن تجاوزت ذلك إلى اخطاء عديدة كان الطرد بانتظارها. ولعل هذه الأفكار التي كانت تسبب لها ذعراً جعلت يديها تعرقان حتى تركت الرطوبة آثارها على الرسائل التي كانت تفتحها له.

بينما سعت إلى تناول منديل تمسح يديها به دخل إليها من كان يسبّب لها هذا الذعر. نظر إلى ما تفعل مقطباً. ثم تقدم نحوها، فخبأت المنديل ونظرت إليه وكأنها مذنبة.

مد يده ليمسك بيدها... في الماضي أمسك يدها عدة مرات فكان في كل مرة يبعث فيها السعادة، أما هذه المرة فكانت للفحص:

ـ خائفة آنسة لونرغان؟ ممَّ؟ من الوظيفة، من قدرتك على القيام بها، أم مني؟

ـ من الثلاثة معاً سيد باركو.

ابتسمت عيناه دون فمه.

ـ الأمران [illegible] لأن ستعتادين عليهما... أما الثالث...

انحنى ليقبل خدها:

- فيمكن التغلب عليه بهذا.

هزت رأسها في محاولة منها لإخفاء سعادتها التي امتلكت عليها روحها.

- أعرف هذا سيد باركو... لكنه ذهب مع رجل كنت أعرفه على جزيرة. كان رجلاً عظيماً سيد باركو... وكنت معجبة به كثيراً. وهذا الرجل، وأنت، مختلفان اختلاف الصيف والشتاء.

ضاقت عيناه فوضع اصبعه على صدره:

- هذا يعني، أن هذا الرجل... هو الشتاء.

- أجل سيد باركو... لذا فإن هذه القبل لم تعد تنفع سيد باركو.

- بالله عليك توقفي عن مناداتي بالسيد باركو!

خرجت الكلمات من بين أسنانه.

تنفست عدة مرات لتهدىء أنفاسها أمام غضبه.

- لكنني سكرتيرتك سيد باركو... آسفة يا سيدي!

- بحق الله لا تقولي سيدي فقولها أسوأ من ذلك! كم بقي على...

- نعم... سيد باركو!

ضحكت عيناها دون أن تقدر على منعهما ثم انفرجت شفتاها بأول ابتسامة حقيقية منذ عدة أيام. فرد ابتسامتها ومد يديه ليمسك ذراعيها جاذباً جسدها إليه... لكن الهاتف ارتفع رنينه فتركها وعاد إلى مكتبه قائلاً:

- بالله عليك! أسكتي هذا اللعين!

أطاعته ثم بعد خمس دقائق أعادت السماعة مكانها. كانت مسرورة من نفسها لنجاحها في معالجة أمر أولى المكالمات دون مساعدة.

في الصباح التالي انقلبت دنياها رأساً على عقب. فقد تأخر رئيسها عن الوصول، فراحت تعصر تفكيرها لتعلم إن كان قد أعلمها بأنه قد يتأخر. ثم بحثت علها تجد أية مذكرة منه بهذا المعنى.

فتحت كل البريد ورتبته على أمل أن تقدّمه إليه لحظة وصوله... تلقت

مكالمات من معارفه الذين يرغبون في التحدث إليه. ولما انتصف وقت الصباح، ولم يصل بعد، فكرت في جيني التي أخبرتها يوماً:

- مركز عمله الرئيسي ليس هنا في نيويورك... بل في «الباني» عاصمة ولاية نيويورك وهي إحدى أقدم المدن التي بناها الهولنديون عام ١٦١٤، فيها أجمل المباني المشيدة عند ملتقى نهري «موهول» و«هدسن».

أجابتها كائي يومها:

- أعرف أن للشركة فرعاً هناك.

- إنه ليس مكاناً للعمل فحسب بل هو منزل ضخم مرمم على أحدث الطرق العصرية وأروعها. إن العمل في ذاك الجو رائع.

- يبدو كأنك قد زرته.

- زرته مرات عديدة وكنت أبقى في بعض الأحيان بضعة أسابيع لكنني لما تزوجت اعترض زوجي على سفري إلى هناك، لذلك التزمت بالعمل هنا منذ ذلك الوقت، فكان السيد باركو هو الذي يتنقل إلى هنا عند الحاجة.

تذكرت كائي كذلك آخر كلمات جيني:

- قد يطلب منك السيد باركو السفر إلى هناك. فهو لا يحب ترك خطيبته وقتاً طويلاً.

أخذت كاثرين تدحرج قلماً، جيئةً وذهاباً... غريب كيف أن هذه المعلومات المؤلمة قد أبعدها عقلها الباطن... في ذلك الوقت أحست بها كالسكين بين جنبيها.

رن جرس الهاتف، وسرعان ما عرفت هوية المتحدث.

- كائي؟

كانت لهجته قاطعة، لهجة الرئيس إلى السكرتيرة، فاستعادت دورها الصحيح على الفور، وأجابته تبعاً لذلك.

- أريدك أن تجمعي كل الملفات الحالية والوثائق، والبريد وكل شيء له علاقة بالعقد الذي نتعامل به حالياً...

تسارعت خفقات قلبها وأبطأت وكأنه سيارة سباق قيد التجربة:

- حاضر سيد باركو.
- كما أريد منك أن تعودي إلى شقتك، لتجمعي بعض ملابسك التي تكفيك مدة أسبوعين أو ثلاثة... ثم احضري إلى الباني.
بعد وقفة قصيرة، سألت ببرود:
- هكذا بكل بساطة سيد باركو؟
- بكل بساطة آنسة لونرغان... ستصلك سيارة عند الساعة الثانية... على أن تكوني قد تغديت قبل ذلك... هل فهمت؟
- كل كلمة سيد باركو.

لم تعترف بأنها لم تتكيف بعد مع نمط حياتها الجديدة إلا بعد أن أقفلت الهاتف. والأسوأ من هذا أنها تعرف بأنها ستلتقي خطيبة الرجل الذي أحبته، الخطيبة التي لا يحب تركها وقتاً طويلاً، حسب قول جيني.

كانت الرحلة متعبة، فالسيارة كان عليها اجتياز مئتي كيلو متر لكن ما خفّف عنها وأراحها أن السائق لم يكن ثرثاراً.

أعلن السائق:
- أوشكنا على الوصول يا آنسة... سنصعد هذا الطريق، ثم نصل إلى المنزل. هل زرت المكان قبل الآن يا آنسة؟
- لا إنها المرة الأولى ولا شك في أنها ستكون مؤثرة.

كان المنزل جميلاً نوافذه وجدرانه بيضاء أما سقفه فأخضر مثلث. أمامه مجموعة متصلة من السلالم الحجرية تقود إلى رواق الأعمدة التي تعلوها القناطر المحيطة بباب المدخل الأمامي المغطى بالزجاج المحفور.

قالت كائي معلقة وقد توقفت السيارة في الممر المرصوف أمام المنزل:
- إنه لمن المؤسف أن لا يكون هذا المكان منزلاً بمعنى المنزل.

خرج السائق ليفتح لها الباب:
- لكنه منزل كغيره من المنازل يا آنسة. وخطيبة السيد باركو تسهر على أن يكون هكذا.

- أتعني أنها تعيش فيه؟

نظر إليها باستغراب:
- وأين لها أن تعيش يا آنسة نسبة للظروف؟

أية ظروف؟ وتاقت لأن تعرف، ولكن الرجل أحس بأنه قد تفوه بما يكفي.
- سأريك الطريق يا آنسة.

أشار إليها أن تتسلق السلالم الحجرية المتصلة... وقبل أن يرفع مقرعة الباب، انفتح وظهرت امرأة صغيرة البنية تبتسم. ثم فتحت الباب على مصراعيه وهي تقول:
- هل جئتنا بوجه جديد يا ادوارد؟

قال السائق:
- هذه زوجتي باولا يا آنسة، إنها مدبرة المنزل... وستعتني بك. سأحضر الأغراض من السيارة.

ما أن خطت كائي إلى الداخل، حتى اتسعت الردهة، التي كستها سجادة دكناء فوقها أثريات أعيد تصنيعها. كانت الأبواب صلبة كما المنزل نفسه، موزعة في كل الاتجاهات. ولم تكن تلك الأبواب بحاجة أن تغري الزائرين، فالأيادي تمتد من تلقاء نفسها لتدير مقابضها.

كان السلم الداخلي، يقوم بالإعلان عن نفسه بكل جسارة، يمتد عريضاً ومستقيماً حتى المنبسط الذي يعلوه، ثم يستدير متابعاً انحناءته وانحناءة سجادته الطويلة. لم يكن منبسط السلم فارغاً. فقد تقدم منها رجل تهدلت ربطة عنقه ورُفع كما قميصه رجل يضع يديه في جيبيه، دون أن يبتسم، وتعبير الضجر على وجه لم يعله الترحيب.

سألته مدبرة المنزل:
- ثلاثة على العشاء الليلة سيد باركو؟

فهز جريج رأسه فتركتهما المرأة وذهبت... قائلة:

- اخبريني متى كنت جاهزة آنسة لونرغان. لأدلك إلى غرفتك.
قال جريج:
- الحمد الله على وصولك.
أحست بأن قلبها توقف عن الخفقان، ثم تسارع... لكنه عاد يضرب بطيئاً عندما أكمل:
- إنني غارق في العمل حتى عنقي.
وضع ادوارد حقائبها عند طرف ردهة المدخل، قائلاً إنه سيحضر صناديق الملفات والأوراق. فسألت كاثي:
- هل تريدني أن ابدأ العمل فوراً؟ أنا مستعدة، لكنني عطشى!
جاءها صوته ناعماً، وعيناه تلعبان تلك اللعبة التي لعبتاها منذ أن وقعت عليها نظراته:
- أنا سعيد لأنك مستعدة، كما أنني أنا أيضاً أحس بالعطش.

قال تلك الكلمات ثم وجه نظرة إلى فمها الممتلىء، فلم يكن ما يعنيه بحاجة إلى سؤال. واحمرّ وجه كاثي، فبدا أن هذا أبهجه. التفتت حولها لتتأكد من عدم وجود أي باب مفتوح قد تصل عبره كلماته إلى مسمعيّ خطيبته. لكن من ناحية أخرى، أدركت أن الكلمات بحد ذاتها كانت بريئة، إنما التوتر بينهما هو الذي زادها معنى. قال لها:
- المكاتب في الطابق العلوي، سأطلب من باولا أن تحضر لنا صينية الشاي.
فردت عليه بطريقة السكرتيرة المخلصة:
- سيكون هذا رائعاً.
رفع حاجبيه ساخراً من لهجتها.
دخل ادوارد يحمل كومة من الصناديق الكرتونية، وسأل:
- في المكان المعتاد يا سيدي؟ ثمة المزيد يا سيدي؟
سأل جريج متعجباً:
- ماذا فعلت يا كاثي، هل أفرغت محتويات مكتب نيويورك من الأوراق؟

- أحضرت كل ما له علاقة بالعمل، كما طلبت على الهاتف...
أدركت في هذه اللحظة كم بدا كلامها عدائياً فأضافت:
- ... سيدي!
نظر إليها جريج بقساوة، وأشار إليها لتتبعه، أما ادوارد، فانتظرهما احتراماً حتى وصلا، ثم تسارعت خطواته وهو يقول:
- رحلة واحدة أخرى... وأنهي هذا العمل.
قاد جريج كاثي إلى غرفة، كانت يوماً دون شك غرفة نوم، مربعة الشكل ذات نوافذ وستائر ثقيلة، يزين سقفها رسوم أما جدرانها فمكسوة بالخشب اللماع حتى منتصفها وقد علقت فوق الخشب اللوحات الثمينة.
التقط سماعة الهاتف ليطلب الشاي... ومن ثم قال:
- بإمكانك الآن التخلي عن مناداتي «سيدي».

جاءتها تعليماته صارمة، فاستدارت لتواجهه فتابع:
- إذا سمعتك تناديني بذاك الأسلوب ثانية... سأخفض راتبك... هل تفهمين؟
لاحظت أن قبضتيه مشدودتان وفكه مرفوع بتحد ملؤه الغضب.
- ماذا فعلت حتى تنظر إلي هذه النظرة؟ عندما دعوتك «سيدي» لم أكن أقصد الإهانة، حتى وإن اعتبرتها كذلك. أرجوك دعنا ننسى الماضي. ما حدث بيننا انتهى... ولم يحدث شيء في الواقع... أليس كذلك؟ لقد كان لديك العقل الراجح للتوقف... ولو لم تفعل...
- لا بد أنني كنت مجنوناً عندما رفضت دعوتك.
أخذت تتوسل:
- أرجوك جريج... دعك من الأمر. لقد انتهى، انتهى. أليس كذلك؟
لكن قلبها المضطرب صاح بها: لا يمكن ينتهي أبداً...
رد عليها بصوت عميق:
- الماضي لا يموت أبداً يا كاثي... بل إنه يميل إلى أن يشتدّ ظهوره مع مرور الأيام.

- يجب أن ننسى. وإلا كيف سأتمكن من متابعة عملي لك؟

سارت نحو طاولة أصغر من الطاولة التي كان الآن يجلس وراءها، ثم عادت إليه:

- لست أفهمك... لديك خطيبة جميلة كما قيل لي. أم أنها باردة؟ لذا قررت أن تجعلني...

قرع الباب، ثم دفعه ادوارد بقدمه، حاملاً بين ذراعيه الصناديق:

- اسف لتأخري سيدي، لقد أوقفتني باميلا تسألني عن شيء سخيف. وهي ستحضر لكما صينية الشاي خلال لحظات.

قالت كاثي متجنبة النظر إلى جريج:

- سأفتح الصناديق.

نظرت عبر الباب إلى الغرفة المجاورة فرأتها غرفة صغيرة هي دون شك كانت غرفة طفل. أما الآن فهي تحوي طاولة حديثة فوقها طابعة الكترونية، وفيها ثلاثة مقاعد مختلفة القياس، وبالقرب منها طاولة عليها آلة استنساخ... إذن هذه ستكون غرفتها.

لم يمضِ وقت حتى دخلت باميلا تحمل الصينية التي وضعتها على طاولة كتابة قرب إحدى النافذتين.

- هاك آنسة لونرغان، بإمكانك الآن اطفاء عطشك... سأصب لكما أول فنجان... أتسمحين؟ ثمة بعض البسكويت إذا أردت. جربيها... إنها صناعة منزلية.

قال جريج:

- هي من صنعها فاحذري رفضها يا كاثي!

فضحكت باميلا وهي تتجه إلى الباب:

- أنت دائماً تبدي الاعجاب بطبخي سيد باركو.

تركتهما وأغلقت الباب وراءها.

التقط قطعة بسكويت ورفعها إلى فمها ثم قال آمراً:

- افتحي فمك.

فضحكت، وراقبها وعيناه تلمعان بابتسامة:

- خذي قضمة، ولكن من البسكويت لا من اصبعي!

بدا وكأنما يعودان بالزمن إلى الوراء حيث كادت كاثي ترى أمامها السماء الزرقاء، وتحس بأشعة الشمس القوية التي لا تلطفها سوى الريح التي تهب من البحر. أحست بالدفء وكأنه يداعبها.

عندما زال الحلم، شاهدته وقد توقف عن النظر إليها وناظراً إلى الطبيعة خارجاً، إذن لقد كانت وحدها فوق الجزيرة.

جاءها صوته بعيداً:

- أرغب في إكمال أكبر قدر من العمل المتأخر. فهل لك أن تنجزيه في وقت قصير؟

ردت بكلمات لا رنين لها:

- أجل... سيد باركو.

أدخل ادوارد رأسه الرمادي من الباب:

- العشاء جاهز سيد باركو. سيُقدم بعد أربعين دقيقة. كما قالت لي باميلا.

رفع جريج يده ليصرفه، فالتفت إلى كاثي مبتسماً وكأنه معتاد على هذه المعاملة القاسية. فأعادت له الابتسامة. وعندما سحب رأسه، وجدت أن جريج كان ينظر إليها. فمه مشدود بابتسامة ساخرة لكنه لم يتكلم. قالت له بعد برهة:

- هل ترتدون ثياباً للعشاء سيد باركو؟

فرفع نظره عما يقرأه:

- أنا أرتدي في كل مناسبة آنسة لونرغان، باستثناء تلك التي تذكرينها.

اصطبغ وجهها باحمرار، فغضبت من وجنتيها لأنهما فضحتا حرجها.

- ما أعنيه هل ترتدون ثياباً طويلة؟

تساءل ساخراً:

- هل أرتدي أنا ثياباً طويلة؟

أدركت ما قالته، فالثياب الطويلة تعني الفساتين. ارتد رأسها إلى الوراء

ضاحكة:

- آسفة لم أقصد هذا.

- أشكر الله على هذا، لأنني قلقت على نفسي!

بدا للحظات وكأنه ذاك الرجل الذي عرفته باسم جريج، والذي أحبته... مال إلى الأمام قائلاً:

- أجل... أتوقع منك ارتداء ثوب طويل للسهرة. كان يجب أن أخبرك بذلك مسبقاً. فخطيبتي تصرّ على هذا. فهل أحضرت ثوباً معك؟

- لحسن الحظ، نعم. فلو لم أفعل، لاضطررت لارتداء ثوب النوم الطويل، أليس كذلك سيد باركو؟

سجّل عليها نقطة سريعة ساخرة:

- هل عدت إلى عادة ارتداء ثياب النوم آنسة لونرغان؟

فوقفت كاثي تلعن الساعة التي اعتاد فيها خدها على الاحمرار:

- هل لي أن أذهب لأحضر ثيابي الآن... أرجوك؟

- هل تعرفين أين هي غرفتك؟ سأوصلك إليها بنفسي.

أحبت كاثي الغرفة ما إن رأتها... فتجاوزت حقائبها لتتقدم إلى الأبواب المفتوحة للشرفة. وضمت يديها معاً مبتهجة برؤية المنظر الذي واجهها.

بدت في نهاية مرجة منحدرة زرقة مياه ضفاف نهر الهدسون، تحيط به ستارة من الشجيرات الصغيرة الشائكة... بالقرب منها مبنى خشبي قديم... وعلى سطح التلة قطعة من أرض مشجرة تشكل غابة صغيرة.

التفتت إلى داخل غرفة النوم. كان فيها طاولة كتابة وخزانة وجوارير. وعلى أحد جانبي السرير مرآة، وفوق السرير المزدوج مصابيح لها مفاتيح متدلية. وفي مواجهته طاولة زينة تعلوها مرآة أخرى... نظرة واحدة إلى الحمام أعلمتها أنه يحتوي على كل شيء يجب أن يحتويه الحمام. فقالت لجريج بابتسامة سعيدة:

- لن أنال غرفة أجمل! أخالني سأتمتع بالعمل والعيش هنا.

- استخدمي ما شئت... اسبحي، وتشمسي قرب الكوخ الخشبي.

- وأضيع في الغابة؟

«معي». علمت أن تلك الكلمة كادت تنطقها شفتاه. لكنه عاد فاحتفظ بما كان سيقوله. أراد أن يقول لها: ضيعي فيَّ يا كاثي ضيّعي نفسك فيّ...؟

وأخيراً جذبها إليه فعاودتها فوراً ذكرى تلك الغرفة في الفندق، كان ليديه في كل حركة تخطوهما مطلب، جالتا على كل حناياها إلى أن أجبرها على الاسترخاء.

أطبقت ذراعاها على عنقه، أما يداه فطفقتا تسيطران عليها تجذبانها وتدنيانها إليه، حيث كانت حرارة رغبته الملتهبة تشعل جسدها وتعيده إلى الحياة. رغباته كانت تطرق باب رغباتها التي حاولت جاهدة أن تبقيها بعيدة. لكن قوته كانت أقوى منها ومن مقاومتها التي تغلب عليها بسهولة.

- جريج... أرجوك توقف! أين حكمتك التي أبديتها ليلة تركك للجزيرة؟

- فلتذهب تلك الحكمة وضبط النفس ذاك إلى الجحيم.

تركها، متوتراً وكأنها هي المذنبة وكأنها هي من وضع الحصار والقيود على حبه لها. قالت بتعاسة محاولة اخفاء ألمها:

- خطيبتك تنتظرك... أليس كذلك؟

ابتعد عنها، ثم قال ببرود:

- أمامك عشرون دقيقة قبل العشاء.

ثم أغلق الباب وراءه.

أخبرتها نظرة واحدة إلى المرآة بثلاثة أشياء: أولاها أن الفستان رائع الطراز يناسبها تماماً. وثانيها أنها جميلة، والثالثة والأهم أن الفستان لا يناسب مطلقاً عشاء روتينياً داخل منزل خاص.

عينا المرأة الشابة التي كانت تجلس على مقعد يتسع لأربعة أشخاص أخبرتاها بكل وضوح أن هذا الفستان لا يناسب عشاءً كهذا. دخلت كاثي الغرفة، بعد أن لاحظت أن الباب مفتوح.

- تفضلي بالدخول... أنت سكرتيرة غريغوري الجديدة؟

توقفت المرأة عن الكلام ثم أردفت بعد أن رأت الحيرة على وجه كاثي.

- لا تحاري في أمرك فأنت شاهدتني عدة مرات... على غلاف المجلات، وداخلها، أو في عرض للأزياء إذا كنت تحضرينها.

- أذكر آنسة باترسون، فلطالما أعجبت بجمالك.

لم ترد الاطراء، بل استدار رأسها بكبرياء، وكأنما المرأة لا تريد أن تعرف هذا.

ربما هي تريد أن تنسى أنها كانت عارضة، بعد أن غدت خطيبة جريج...

- هذا الفستان لا يناسب العشاء في هذا المكان... هل ظننت نفسك ذاهبة إلى حفلة عامة يحضرها علية القوم؟

كان السؤال مهيناً، لكن كاثي وجدت صعوبة في منع ابتسامة.

- أنا آسفة. لكن عندما وضبت ثيابي للمجيء لم أفكر في أنني سارتديه هنا، ذلك أنني لم أكن أعرف القاعدة.

- أية قاعدة؟ من قال لك إن للأمر قاعدة؟

- جـ... السيد باركو.

- هل يسأل أحد عني؟

جاءهما السؤال من جهة الباب، فاستدارت كاثي وقد احمرّ وجهها:

- لا... ولكنني...

قاطعت سالينا باترسون تفسير كاثي، وامتدت يداها إلى جريج:

- حبيبي... كانت الآنسة لونرغان تجيب عن سؤالي. بشأن من أخبرها عن القواعد.

تبادلت كاثي معه النظرات. بدا وكأن فيهما ما يخبرها عن أنهما كسرا التقاليد منذ نصف ساعة.

اجتاز الغرفة، مشيراً إلى كاثي بالجلوس، ثم أخذ يد خطيبته وانحنى ليقبل خدها. ضربت على المقعد المجاور لها:

- اجلس بقربي يا حبيبي... لقد أحسست بالهجر طوال النهار.

- آسف على هذا.

وقف وراءها واضعاً يده على كتفها. فأرجعت رأسها إلى الوراء لتنظر إليه:

- هـه... كم هذا لذيذ... دلّك كتفي يا حبيبي... فأنا أحس بالحاجة للاسترخاء.

رأت كاثي أنها ليست بحاجة إلى اهتمامه وإلى إظهار العاطفة. فهي تبدو مسترخية كقطة خاملة.

لما حاولت قراءة تعابير وجهه شعرت وكأنها تقرأ رسالة. سمعت صوت سالينا تقول له:

- حبيبي... إنك تؤلمني! هل تفكر في عملك المتعب متقمصاً مني؟

رفعت كاثي نظرها إليه لتكتشف مصدومة أن عيناه لا تبرحان وجهها. لكنه أجابها باختصار:

- أجل... كنت أفكر في متاعب عملي... كاثي هل ترغبين في شراب.

احتجت سالينا بصوت أجش:

- حبيبي... أليست العادة أن تسأل خطيبتك أولاً؟

- أعتذر، لكنني أعرف ذوقك وما قد تطلبين، ولا حاجة لي إلى السؤال؟

تساءلت كاثي أين كان يخبيء مثل هذا الحديث الناعم عندما كان معها. يوم كان ملتحياً، فظاً في تفكيره وفعله.

- كاثي؟

ها هي خشونته قد عادت، وصدمتها بشكل أقسى لأنها تلت الحديث الناعم الذي كلمها به. أردف:

- لم تجيبي... هل تريدين الشراب المعتاد...

راجع نفسه فوراً أما هي فالتقطت أنفاسها لتجيب:

- أجل... أرجوك يا...

التقطت أنفاسها ثانية قبل أن يخرج تصغير اسمه من فمها... وهنأت

نفسها لأن سالينا لم تلحظ شيئاً. لكنها نظرت إلى خطيبها وعلت وجهها تقطيبة.

- لماذا تذكر اسمها فقط، وكأنما... هي شخص مميز لديك؟

فسارعت كائي إلى الإجابة:

- أعتقد أن سكرتيرة المرء الخاصة... هي دائماً... مميزة قليلاً بالنسبة لرئيسها... ألا تظنين هذا آنسة باترسون؟

ثم تابعت سالينا بحيرة:

- لقد كان ينادي جيني باسمها، إنما بطريقة... عادية.

أخذت كائي تكلم نفسها: لأن هذا الرجل ليس رئيسي فحسب... بل هو حبيبي... فكيف يتوقع أحد أن لا أشعر بشيء تجاهه؟ أو أن أتظاهر أمام زوجة المستقبل بأننا لم نلتقِ قبل أن أصبح سكرتيرته؟

عندما مدت يدها لتناول كأس الشراب من يده، كانت يدها ترتجف. فكان أن أمسكه معها لحظات ليثبته في يدها ثم قالت ونظراتها مستقرة بقوة على الشراب إلى أن أصبح الكأس بين يديها:

- شكراً لك.

علق بعفوية وهو يتراجع ليجلس قرب خطيبته:

- أظن أن أفكار سكرتيرتي كانت بعيدة عنا. ربما كانت تتذكر أيام عطلتها... إلى أين ذهبت، هل قلت إلى جزيرة نيو برفيدانس؟

صعُب عليها أن تنظر إلى الرجل الذي يضربها بهذه القساوة. ولو فعلت لأعطت الفرصة للفتاة المراقبة، المنتظرة إلى جانبه معظم أسرارها وشوقها...

سألت سالينا:

- أليست هذه الجزيرة الرئيسية في جزر البهاما؟ لقد كنت هناك مؤخراً يا حبيبي، أليس كذلك؟ عجباً... كيف لم تلتقيا. لا يمكن أن يكون المكان واسعاً إلى هذه الدرجة.

فسارعت كائي إلى القول:

- لم نكن نعرف بعضنا آنسة باترسون.

- لكنك تعملين في الشركة. وهذا واضح.

رد بسهولة:

- إنها شركة كبيرة... ألا تذكرين. وكائي كانت في قسم مختلف جداً منها... كانت تعنى بالجانب الإنساني، في الطبابة، الصحة، ومشاكل الموظفين.

هزت كائي رأسها بقوة... بقوة أكثر من اللازم:

- شؤون الموظفين. نحن نحاول إيجاد الراحة للناس، أحياناً كنا نعالج مشاكلهم الخاصة... وكنت أتمتع بهذا.

- لماذا تركت القسم إذن؟

فنظرت إلى جريج، ولكنه كان يغمض عينيه وعلى فمه ابتسامة تقول «أجيبي عن هذا السؤال لو استطعت».

- إنها أوامر الرئيس.

لمعت عيناها بالانتصار بعد أن فتح عينيه... ردّت الكرة إلى مرماه، فالتقطها بسرعة:

- لقد احتجت إلى سكرتيرة جديدة، وقمت بتحقيق سري عن السكرتيرات العاملات في الشركة وعن مؤهلاتهن فكان أن تلقيت تزكية عن الآنسة جيفرسون... وها هي... تشع أمامي.

لم تلحظ سالينا جو التوتر الذي ساد. ووضعت يدها على ركبة جريج. ثم قالت له:

- أتسمح بأن تكون «حملاً» وديعاً فتحضر لي البوم الصور؟

لم تستطع كائي اخفاء ابتسامتها، فهي لم ولن تتصور جريج «حملاً» أمام أي كان... انتظرت أن تسمع منه رداً: احضريها بنفسك، أو ما شابه... ولكن، ما أذهلها أنه فعلاً لعب دور الحمل الوديع فأحضر لها الألبوم المطلوب.

جاء دور كائي لتلقي الأوامر:

ـ آنسة لونرغان، نظارتي هناك، هل لك أن تحضريها؟.
أصاب كائي ذهول جعلها تستجيب إلى ذلك الطلب بإذعان.
ـ اجلسي على ذراع المقعد إلى جانبي لتري الصور.
أهذه الكبرياء التي تظهرها نتيجة خطوبتها لأكبر المساهمين في شركة «ايستمان كوربريشن» أهذا الطغيان الساحق هو ما يرغب فيه جورجيو باركو في شخصية المرأة التي ستصبح زوجته؟

إذا كان هذا صحيحاً... فمن الجيد أن الأمور سارت على ما سارت عليه. ومن حسن حظها أنها نجت بنفسها... ولكن هل نجت؟
فقد سرق قلبها عندما تركها دون أن يدري ما فعل.
راحت تحدق بإعجاب حقيقي إلى الصور التي كانت تكشف جمال تقاطيع وقسمات العارضة، سالينا باترسون... التي أغمضت عينيها بعد أن أقفلت الألبوم الذي ضمته إلى صدرها وكأنه درة ثمينة.
ـ لقد طلبت طبع هذه النسخ... لقد صنعت لسبب خاص.
عادت كائي إلى مقعدها وقالت معلقة:
ـ لا أفهم... كيف أجبرت نفسك على ترك العمل؟
لاحظت تصلب جريج، فاستدار رأس سالينا إليها:
ـ ألا تعرفين... أحقاً لا تعرفين؟
ـ ليس لدي أدنى فكرة آنسة باترسون.
لماذا خفق قلبها بهذه السرعة؟
سُمعت طرقات على الباب تبعها دخول ادوارد القائل:
ـ باميلا تقول إن العشاء جاهز سيد باركو...
بعد أن انسحب... وقف جريج، وعيناه على كائي، التي وقفت بدورها... محاولة حل لغز الرسالة الغريبة في نظرته. ثم تقدم، لا ليقود خطيبته إلى الباب، بل ليتجاوزها وينحني خلف الأريكة ملتقطاً عكازين.
ارتفعت يد كائي إلى حنجرتها، وقد تجمّد الدم في عروقها وحُبس النفس في حلقها عندما رأته يمسك خطيبته من تحت إبطيها، بلطف، وتؤدة، لتقف،

ثم أحكم الإمساك بخصرها ودفع العكازين تحت ذراعيها.
حدقت سالينا إلى كائي بشيء من التحدي، ثم قالت بمرارة:
ـ هل تلقيت الإجابة عن سؤالك الآن؟
رفعت نظرها إلى خطيبها... ثم بدأت تقدمها البطيء المؤلم نحو الباب.

●●●

www.elromancia.com

٨ ـ يـد القدر

لولا ثرثرة سالينا بين الآونة والأخر لعمَّ صمت مطبق خلال تناولهم العشاء.

لم تكد كاثي تنطق بحرف واحد ذلك أن الصدمة قد أثّرت فيها عميقاً بحيث قضت الوقت كله ضائعة في عالم فكري خشن.

جريج خطيب امرأة مقعدة بسبب حادثة ما. وهذا يعني أنه أشد ارتباطاً بها مما لو كانت صحيحة البنية. يا ترى عندما يتزوجان، وأغمضت كاثي عينيها بيأس، أي حياة حميمة ستكون بينهما ستتدثر بسبب عجز سالينا. وبعد الزواج ماذا سيفعل؟ ارتفعت عيناها لتجد أنه يحدق فيها.

هل تمكن من قراءة أفكارها؟ أم أن وجهها، وصمتها الغريب، قد كشف النقاب عن أفكارها؟

سألها:

ـ هل فقدت شهيتك يا كاثي؟

في لهجته سخرية جعلتها تجفل. فبعد اكتشافها إلى أي مدى خدعها بعد لقائهما الأول، عادت المرارة هذه تتصاعد. فأجابته:

ـ لم أكن أدرك أنني فقدت شهيتي سيد باركو. لقد أرهقتني بالعمل منذ أن وصلت حتى امتص مني ذلك كل طاقتي.

كانت تقصد بابتسامتها تلك أن تخترق دروعه لكن ما حدث أنها لم تلامسها إطلاقاً. أضافت:

ـ أنا أُمهل نفسي لاستردّ تلك الطاقة.

الابتسامة التي ردها إليها، جلبت الاحمرار إلى وجهها. حالما أنهت كلامها، قالت سالينا:

ـ لاحظت أن الآنسة لونرغان لم تسألني بعد عن كيفية حصول حادثتي ولماذا أقعدتني في عجز.

أجفلت كاثي من كلماتها فأجابت:

ـ أنت لست عاجزة آنسة باترسون. أنت جميلة وشابة وقد تشفين حتى...

رن صوت سالينا بنوع من التأثر لم تستطع كاثي فهمه:

ـ لن أشفى أبداً... لن يكون بيني وبين جريج أي اتصال جسدي عندما نتزوج. أتعلمين، استطيع أن أرى أن هذا أول ما فكرت فيه.

هزت كاثي رأسها نافية، لكن دون طائل، لذا نظرت إلى جريج مستغيثة، لكن عينيه اللتين لم تبرحا وجهها لم يكن فيهما أية رسالة.

تابعت سالينا، بعد أن أسرعت باميلا إلى إزالة الأطباق وتقديم الحلوى.

ـ ماذا سيفعل عندها؟ هل يفتش عن امرأة أخرى كما يفعل معظم الرجال العاديين؟

فتشت كاثي عن العون مرة أخرى، عيناه لم تتركا وجهها لحظة وهما إلى ذلك خاليتين من أي رد.

تابع الصوت القاسي البشع:

ـ استطيع أن أقول منذ الآن، إنه لن يفعل. فهو رجل شريف محترم، يا آنسة لونرغان. حتى ولو دنت منه الفرصة مع أية امرأة فسيهرب، متذكراً أنه رجل متزوج.

أخذت كاثي تتوسل بعينيها بصمت يائس ليتدخل جريج، مقاطعاً تدفق الأسيد الفتاك من بين شفتي خطيبته... ألا يحرقه كما يحرقها؟ لكنه لم يفعل شيئاً سوى متابعة النظر إليها، مع شيء من القسوة. تابعت سالينا:

ـ عندما يضع خاتمه في اصبعي، سيحرم نفسه مما يريده ولن يطلق عنان رغباته.

ساد صمت ثقيل، حاولت خلاله كاثي أن تتابع تناول الحلوى، لكنها لم تستطع سوى أن تجبر نفسها على القليل. أبعدت الطبق عنها، ثم مسحت يديها بمنديل المائدة.

كانت كل حركة من حركاتها مراقبة من المخلوقة الجميلة الجالسة قبالتها:

- هل جرحت أحاسيسك آنسة لونرغان؟ إذا كان كذلك، فيجب أن أعتذر، لكنني كنت أقول لك الحقيقة.

- هل تحاولين معاقبة خطيبك آنسة باترسون؟

كلمات السؤال، اصطدمت بالجدران ثم عادت مرتدة لتؤلم وكأنها الرصاصات المرتدة... تابعت كاثي:

- هل ارتكب جريمة بشعة يجب عليه دفع ثمن نتائجها ما تبقى من حياته؟

احمّر لون سالينا الشاحب بلون غاضب وصاحت:

- قل لهذه الفتاة أن ترحل يا جورجيوا لن أتحمل إهانة أخرى منها!

استدارت نحوه ثم مدت يديها إليه على نحو أعمى، فحرك كرسيه، وأمسك بها وهي تنتحب على كتفه، وأخذت يده تملّس شعرها، وشفتاه تتمتمان برقة.

دفعت كاثي كرسيها إلى الوراء ووقفت:

- أنا آسفة آنسة باترسون. آسفة جداً.

استدارت مسرعة نحو الباب، ثم توقفت لتقول:

- سأحضر حقائبي وأغادر سيد باركو. فما قلته لا يغتفر.

جاءتها كلماته قاطعة:

- صحيح أنها لا تغتفر آنسة لونرغان... ولكنك ستبقين... فأنت هنا سكرتيرة لا ضيفة.

عندما وصلت إلى خارج الغرفة أحست بأنها ترتجف. نظرت إلى يديها فإذا هما ثابتتان فأدركت حينئذ أن الارتجاف كان ينبع من داخلها... أم أنه عالمها هو الذي ينهار حولها؟... ها هو آخر أحلامها... أحلام لم تكن تدرك بأنها ما زالت ترعاها... قد تحطم إلى نثرات.

كانت العتمة تزداد، وكاثي جالسة في الكوخ الخشبي. الذي أخبرتها باميلا بأن السيد باركو لن يمانع فيما لو قصدته... فجيني طالما استخدمته، لكن في ضوء النهار لا ظلام الليل.

- إنه مكان جميل إذا رغبت في الهدوء والسكينة. والسيد باركو يستخدمه دائماً في النهار، وأحياناً في منتصف الليل.

هذا واقع بحد ذاته يخبر الكثير من القصص. ها هي الآن تتلقى أشعة القمر، بدل أشعة الشمس. بدا القمر يلطف ظلام الليل بعض الشيء باعثاً إلى قلبها المضطرب بعض دفئه وسحره.

أغمضت عينيها ثم سحبت نفساً أرادت منه الإحساس بأريج الليل. لكنها لم تمض بعض الوقت حتى سمعت صوت انسياب المياه عند ضفاف النهر. رغم هذا السكون الذي لفها لم تجد بلسماً يداوي جروحها.

لا شيء قد يشفي جرح معرفة أن عجز سالينا يقيد جريح أكثر من أي قيد آخر. ومع ذلك فلم يقل لها، تركها جاهلة لهذا ولهذا فقط لن تغفر له. فهو يعلم جيداً... وكيف له أن لا يعلم عمق حبها الذي نما منذ التقت عيونهما.

أحست بالبرودة في ضوء القمر. وتملكتها قشعريرة، هزتها من رأسها إلى أخمص قدميها، فتحت عينيها، وإذ بها ترى طيف رجل يقف في الظلام عند المدخل. ابتلعت الصرخة، واستعادت أنفاسها عندما عرفته.

- ماذا تريد؟

ولما لم يردّ أكملت:

- أن تجدني؟ أن تطردني؟ أن تمزقني بسبب ما قلته لخطيبتك؟

خطواته الأولى رفعته بخطوة واحدة فوق السلم، والخطوات اللاحقة جعلته يجلس قربها على المقعد الخشبي.

- لقد أخطأت في الثلاثة. لقد جئت إلى هنا لأجل ما أجده عادة هنا... الهدوء والصمت، والهرب من متطلبات الحياة المفروضة علي دائماً.

وقفت:

- آسفة... لم أكن أعرف هذا. سأتركك لهدوئك وسكينتك...

امتدت يده لتمسك ذراعها:

ـ ستبقين هنا... اجلسي!

ـ أرفض أن أسمح لك بإصدار الأوامر لي وكأنني طفلة متمردة! كما لن أجلس في أي مكان قريب منك.

شدها بقوة، فوقعت على المقعد وآذت نفسها... تألمت فشهقت، واحنت رأسها إلى الأمام لتمسكه بيديها. عندها أحست بيد تتحرك على ظهرها. فتأوهت:

ـ لا تفعل هذا. لا تلمسني!

فتجاهل كلامها ورغماً عنها وجدت نفسها تسترخي تحت تأثير أنامله التي شرعت تدلكه بهدوء ومع ذلك كان يوترها ويعيد إليها المشاعر التي اشتعلت كالنار في تلك الجزيرة الغامضة المنعزلة.

ـ أرجوك توقف... لا أريد أي شيء له علاقة بك... أتفهم؟

كان طلبها همساً، نظرت إلى وجهه لتشاهد قسماته، لكن الظلام منعها. وكان لرفضها التأثير المطلوب. لأنه سرعان ما سحب يده ليضعها تحت حزام بنطلونه. وقال ببرود:

ـ أخبريني المزيد.

ـ ملأت مسمعي كذباً، وتدعي أنك لم تخطىء؟

ـ لم أكذب عليك قط يا كائي.

ـ لقد كذبت ولن تقدر على الإنكار... إن عدم قولك الحقيقة كان بحد ذاته كذباً...

بعد صمت طويل أجاب:

ـ علاقتنا لم تكن في أي وقت من الأوقات أكثر من شيء عابر في ذلك الوقت، ولن تستطيعي إنكار هذا، قبلت الواقع دون شروط. فلماذا تأبهين الآن بصدقي أو كذبي؟

ـ أنا لا آبه... ومع ذلك فقد كان. وكيف لا آبه بعد... بعد ما حصل بيننا؟ لقد تبادلنا الغرام... الغرام... ألم نفعل؟

استدارت نحوه لتضربه بقبضتيها، فأمسكهما ثم أبعدهما عنه... فتابعت همساً:

ـ لقد زرنا معاً كل الأمكنة حيث تعانقنا واستلقينا على الرمال عند حافة البحر وتغازلنا ونمت بين ذراعيك... في فراشي...

امتدت يداها إلى كتفيه تهزه:

ـ لقد تركتك تقترب مني كما لم يقترب مني رجل آخر في حياتي.

ـ لكن هذا كان بقرار منك.

ـ كيف لك أن تبقى بارداً هكذا؟ ألا يعني ما حدث لك شيئاً؟

أمسك يديها ثم أدناها منه وجذبها إليه بحيث استلقت عليه ثم أمسك كلتا قبضتيها بيد واحدة، ووضع الأخرى فوق فمها:

ـ لقد فاض بي الكيل حتى أكاد أختنق... لقد تحملت الدموع والإهانات من سالينا... وعرضت مستقبلي للعجز... وتحملت التحقيق العلني... وها أنا أتلقى الاتهامات والهجوم على أمانتي واستقامتي منك... لذا سأثبت الآن لنفسي بأنني ما زلت رجلاً...

هزت كائي رأسها، ثم صرخت من الألم، وقالت:

ـ لن أكون عشيقتك، فأنا أرفض أن تستغلني... لن تجبرني... لن تجبرني!

تجاهل صراخها، وأمسك يديها من جديد بيد واحد ومد يده الفارغة ليداعب جسدها، ناقلاً إليها إثارة راحت تتصاعد شيئاً وشيئاً في جسدها حتى ارتد رأسها إلى الخلف إذعاناً ليلامس شعرها المقعد.

قالت هامسة:

ـ لا... لا... توقف... لا استطيع التحمل!

عندما سمعت ضحكة منخفضة شريرة تلاعبت اصابع الخوف الباردة على عمودها الفقري.

ترك يديها، وقد علم أن مقاومتها تلاشت. ثم ودون أن تعي مدت يديها إلى وجهه تلمسه براحتيها ولمّا وصلت إلى شعره شدته إلى الخلف وراحت

تهمس من جديد:

- لا... أرجوك... توقف... توقف.

أحست بجفاف فمها وحاولت ترطيب شفتيها بلسانها... وأكملت:

- لا يجب أن نستمر... سأتركك... لن أقدر على العمل معك بعد الآن.

بدا لها أخيراً أنها قد وجدت المفتاح الذي يوصلها إلى شاطىء الأمان. فرفع رأسه، لينظر إلى جسدها، ثم رفعها بذراعيه حتى أصبحت مستلقية بتقاطع معه. التفت ذراعاها خلف عنقه، متقبلة العناق الوحشي الذي أحست أنه سيحطمها، حتى انهارت وأصبحت كالدمية تحت رحمته.

فجأة توقف فذراعاه تركتاها. أما هي فسعت لتضع خدها على صدره. وبقيا على هذا الوضع وقتاً طويلاً حتى أحس بها ترتجف بين ذراعيه بفعل الريح الباردة. فكان أن أمسكها ليجلسها قربه قائلا:

- هل تدخلين إلى المنزل أنت أولاً... أرجوك.

- ألن تراني باميلا أو ادوارد؟

- سيكونان في غرفتهما... وسألحقك بعد قليل... عندما سيسمعاني سينزل ادوارد ليقفل الأبواب.

وقفت... مرتجفة الساقين دائخة:

- ما زلت تريدني أن أبقى؟

- أريدك أن تبقي.

- إذن سأبقى... تصبح على خير.

لم يرد... وبعد وصولها إلى غرفتها بضع دقائق سمعت وقع أقدامه...

كان جريج قد أنهى فطوره وغادر غرفة الطعام عندما نزلت كاثي من غرفتها. أما سالينا فكانت تتناول «التوست» والمربى. وأمامها صحيفة الصباح. نظراتها الفاحصة لم تلحظ فقط التعب على محيا كاثي بعد ليلة لم تنم فيها، بل كذلك الفستان البسيط الطراز الكحلي... وكان فحصها فحص خبير، لم تقصد منه التقليل من قيمة صاحبته.

ارتاحت كاثي عندما لاحظت عدم وجود أي أثر للغضب على تعابير الشابة. بل بدت وكأنها عادت إلى طبيعتها.

قدمت لها باميلا طبقاً من البيض واللحم:

- أيناسبك هذا الطعام يا آنسة؟ هل تمانعين لو ناديتك باسمك يا عزيزتي؟ لقد كنت أنادي السكرتيرة السابقة بالآنسة جيني.

- لا أمانع أبداً باميلا.

سارعت مدبرة المنزل إلى الخروج.

أحتست سالينا بعضاً من قهوتها، وراقبت كاثي تأكل:

- يبدو كأنك وجدت الطعام لذيذاً.

فهزت كاثي رأسها مبتسمة بينما طوت سالينا الصحيفة ووضعتها جانباً...

لاحظت كاثي أنها رغم إصابتها والخسائر الجسام التي منيت بها وخسرانها الكثير كعملها، وقدرتها على الحركة، واستقلاليتها، فقد بقي لديها الكثير من ملامح الجمال الذي يتدفق من وجه هذه الفتاة... وكان عليها أن تعترف بأنها تفهم سبب انجذاب هذه الخطيبة لخطيبها.

قالت سالينا:

- أنا لم أخبرك بعد كيف حصل الحادث... صحيح؟

هزت كاثي رأسها... أما سالينا فضمت يديها لتضع ذقنها فوقهما في وضع طالما برعت فيه في ماضيها المهني.

- كنت مجنونة بركوب الخيل. وحسبتني أعرف كل شيء عنه لكن في صبيحة أحد الأيام الجميلة. اعتليت صهوة فرس وأنا في مزاج عكر مجنون. في البدء سرت برزانة لكن لم يلبث أن تملكني شيء ما دفعني إلى حث الفرس على الركض، ولا شك في أن الفرس عرفت أنني في مزاج عكر فأطاعت تعليماتي بل إنها راحت تقفز فوق الحواجز الحجرية في أملاك باركو... كما راحت تطير فوق البوابات، وفوق إحدى البوابات حدث ما حدث. فالفرس لم تكن لتعرف أن الأرض من الجهة الأخرى للبوابة محفورة ومنخفضة.

توقفت كاثي عن تناول الطعام لتحدق إلى الوجه الجميل:

- ووقعت الفرس؟

- رمتني ومنذ ذاك الوقت لم يعد عمودي الفقري إلى حاله وكنت قد بقيت شهوراً قبل أن تُشفى اجزائي الأخرى لأتمكن من استخدامها... لكن ساقاي. كما قيل لي، ستحتاجان إلى وقت طويل طويل جداً. لقد قيل لي إنه ثمة عملية قد تنجح إن جرّبوها، ولكن لا يضمنون نجاحها.

- أو لم تجريها؟

- لقد اكتفيت من العمليات الجراحية. ولو ضمنوا لي النجاح لأجريتها.

رفعت كتفيها ثم أخفضتهما بحزن. فسألتها كاثي:

- وهل كنت وحدك عند حدوث الحادثة؟

- لا... لم أكن وحدي... كان... برفقتي شخص آخر.

بدا واضحاً، أن القصة انتهت... وهوية «الشخص الآخر» ستظل سراً. ظنت كاثي أن ذاك الشخص جريج فهما دون شك كانا خطيبين قبل الحادثة التي هي دون شك رسخت الخطوبة أكثر وزادتها تعقيداً.

أوقفت سالينا كاثي وهي تحاول الذهاب إلى مكتبها:

- أرجوك أعطيني ذلك الجرس اليدوي الذي على الطاولة هناك... في العادة يعطيني جريج أياه لكنه يبدو اليوم فاقداً لشهيته فهو لم يتناول سوى فنجان قهوة.

- هل تقرعينه لطلب المساعدة؟

- فقط عندما أحتاج إليها عند الوقوف أو التحرك. وهذا أمر بدائي في عصر الالكترون هذا. لكن عندما استخدمه يأتي ادوارد مسرعاً.

- أناديه إن شئت.

فهزت سالينا رأسها نفياً. وعادت لتفتح الصحيفة وتقرأها.

كان جريج وراء طاولته عندما وصلت:

- آسفة على التأخير.

- أنا من حضرت باكراً... لا عمل لك اليوم لذا لا داعي إلى البقاء هنا.

كان يقصد بقوله ذاك إغضابها... لذا قفز الرد إلى شفتيها لكنها أعادته

لكن لم تخف عن عينيه غضبها المكبوت ومع ذلك لم يحرك ساكناً. وما أن ارتدت إلى الباب حتى قال:

- ستجدين بريد الصباح على مكتبك. افتحيه، وأجيبي عما تستطيعينه ثم اعطني الباقي.

- حاضر سيد باركو.

بينما كانت تعمل، سمعت صوتاً من غرفته. كان المكان هادئاً صامتاً يوم أمس. ولكن يبدو أن في المنزل زائراً. بعد أن أنهت الرسائل، رفعت أحد أجهزة الهاتف عن طاولتها:

- سيد باركو.

سمعت ضحكة على الطرف الآخر:

- لقد اتصلت بي يا عزيزتي... أنا باميلا... أنت تستخدمين الهاتف الأصفر أليس كذلك؟ حسناً الأجهزة الحمراء هي للمكاتب، وهي التي يستخدمها والد السيد باركو عندما يكون هنا، أما الأسود فهو الذي يوصلك بالسيد باركو مباشرة.

فابتسمت كاثي:

- شكراً لك باميلا...

رفعت الهاتف الأسود، فسمعت «تكتكة» من الجانب الآخر، انتظرت سماع الرد فجاءها سؤال فظ:

- بماذا تحاولين اللعب بالله عليك؟ أنت تعلمين من أنا... ماذا تريدين؟

كبحت غضبها من تصرفه غير المبرر. ثم أجابت:

- آسفة سيد باركو... ولكن لو لم تخبرني باميلا لما عرفت أنني أتحدث إليك.

- أرجو أن تتغاضي عن هفوتي التي لا تغتفر، لقد نسيت أن أشرح لك طريقة استعمال الهاتف. أما الآن فإن لم تبلغيني ما تريدين بسرعة، فسأدخل بنفسي وأدق عنقك.

ما إن تصورت أن يديه قد تلامسان أي جزء في جسدها حتى خفق قلبها

خفقات متسارعة. سرعان ما كبحتها. أجابت:

ـ لقد أنهيت كل ما استطعته دون تعليماتك.

ـ لماذا تنتظرين إذن؟ ادخلي فوراً.

أغلقت باب مكتبه وراءها، ووقفت عدة لحظات وهي تراه ينظر إليها نظرات أخفقت نبضات قلبها وضاعفتها، ومع ذلك فقد أحست بأنها مصنفة في تفكيره على أنها «سهلة المنال»... فشدت على أسنانها، وتقدمت نحوه. وقالت:

ـ أرجو أن توقع هذه سيد باركو.

بينما كان يوقع كل رسالة على حدة، راحت تضع كل منها في مغلف. ولمّا وصل إلى قراءة الرسائل الخاصة التي تحتاج إلى اهتمام خاص، علمت أنه سيتأخر في قراءتها والوصول إلى قرار حولها.

التفتت إلى النافذة... فقالت وهي تتقدم نحوها:

ـ كم المنظر جميل من هنا!

راحت تتأمل الحقول المرتفعة والمنخفضة، منحدرات التلال الخفيفة، الأشجار المنتشرة في غابات صغيرة هنا وهناك. تمنت لو تستطيع سرقة بعض الهدوء مما يحيط بها من مناظر لتضعه في نفسها.

أفلتت منها تنهيدة وإذ بها تحسّ يدين تستقران على كتفيها، فأجفلت وأحست بإحساس المذنب لأنها ابتعدت عن واقع العمل ونسيت مشاكله.

أدارها جريج، وكانت لمسته كالصاعقة عليها. فعيناه فقدتا القساوة، ووجهه أشرق وهو يسألها:

ـ ماذا حدث لابتسامتك؟

رفع ذقنها باصابعه وتابع:

ـ لقد ذهبت ضحكتك أيضاً... يا فتاتي الطيبة الصغيرة.

أخذت اصابعه تلمس خدها، فارتعشت. أعاد إليها عمداً الذكريات، ذكريات عطلتهما وحبهما... وهذا ما لا تقدر على احتماله لذا حاولت الابتعاد عنه وقد اعتمت عيناها غضباً فردت بعنف:

ـ لقد سلبت كل ابتساماتي... وسرقت ضحكتي! كان يمكن أن أنظر إلى ما حدث بيننا على أنه... أنه عاطفة عابرة يمكن نسيانها... لولا خداعك إياي بعدة طرق.

ـ إذن لقد عدت إلى اتهامي بالكذب.

ـ كل تلك الاطراءات، والهراء حول محبتك لابتسامتي، ما قلتها إلا لتحصل على ما تريد... ومع ذلك فقد قالت خطيبتك إنك رجل صادق شريف! كان يجب أن تكون معنا في الكوخ ليلة أمس أو كان يجب أن تراك معي ونحن في الجزيرة... وفي فراشي!

تراجع ليقف قرب طاولته ويرد بهدوء:

ـ أو لم أكن ساعتها صادقاً شريفاً؟ ومن رجتني أن أكمل الطريق معها؟ من قالت لي بإصرار... نعم... نعم؟

أغشت الذكرى عينيها وآلمت قلبها، لا من جرّاء أنامله التي عاد في خطوة واحدة ليغرزها في لحم ذراعيها، بل بسبب الإدانة التي أطلت من عينيه. حاولت التملص:

ـ أرجوك... أنت تؤلمني! اتركني!

سألها بوحشية:

ـ لكنك في تلك الليلة لم تقولي هذا. بل كنت أنا من ضبط أعصابه وكبح جماح عاطفته بشكل لا يصدق، محتسباً كل شيء. وكنت أنا من قال لك إنك ستتذكرين ذاك الرجل الذي كبح رغباته بمحض إرادته... تصوري فقط، لو أنني لبيت طلبات رغباتي، إضافة إلى طلبات المرأة التي كانت بقربي، لربما كنت الآن، تترقبين مولوداً... فماذا كانت خطيبتي ستقول عن أمر كهذا؟

ـ لكنك لم تخبرني عنها، هل فعلت؟

حررت نفسها من قبضته تئن من الألم. ثم أردفت:

ـ لو علمت بوجودها، لما تكلمت معك أساساً... فما بالك بأن أترك ما حدث... يحدث.

تقدم ليقف عند النافذة الأخرى، وعندما استدار نحوها، كانت تقف عند

الطاولة، ترتب المغلفات... فتناول المغلفات منها وقال:

- سأسجل ردي على شريط... اذهبي إلى غرفتك، وسأتصل بك عندما أحتاجك.

- لكن بإمكاني كتابة املاءاتك سيد باركو.

- أو تظنين أنني لا أعرف هذا؟ أنا أريدك فقط أن تخرجي من هنا!

قبل أن تصل إلى الباب التفتت إليه تسأله:

- كنت سأطلب إذناً بالخروج لشراء ثوب ملائم للعشاء بدل ذاك الذي ارتديته أمس.

- أنت حرة فترة بعد الظهر كلها... أيمكنك قيادة السيارة؟ أظن هذا. خذي السيارة الصغيرة من الكاراج الثاني... إنها في الواقع لسالينا. ولكن ادوارد يحافظ عليها بحالة جيدة.

أعطاها ادوارد المفاتيح وقال لها بفخر إن السيارة ومحركها وكل ما فيها يعمل جيداً. وعندما سألته عن المحلات أرشدها إلى محل محدّد كانت سالينا تشتري منه، كما قالت له باميلا.

تجولت كاثي في شوارع «الباني» التجارية، إلى أن وصلت إلى شارع جانبي هادىء حيث عرفت أن المحل الذي أوصى به ادوارد موجود فيه. اشترت فستان سهرة كحلي اللون، ثم تنورة طويلة وقميصين.

حملت الأكياس لتتوجه إلى حيث أوقفت سيارتها، ثم استدارت من زاوية الشارع نحو الشارع الرئيسي، فكادت أن تصطدم بشخص قادم من الناحية الأخرى.

رقص قلبها تحسباً... فقد كان رجلاً طويلاً، ولكن خفقات قلبها توقفت فجأة، فالرجل لم يكن أسمر الوجه أسود الشعر بل كان أشقر لوحت الشمس بشرته. مرت عليها بضع لحظات حتى تعرفت عليه.

قال لها:

- حسناً... حسناً. أليست هذه إحدى فتيات جريجوري باركو الصغيرات!

عاد قلبها للخفقان وكأنها التقت لتوها بعاصفة:

- أهذا أنت؟ أنت بعيد جداً عن مركز عملك في الباهاما.

- هذا أنا... ريتشارد بنغلو، بلحمه وشحمه... اسمعي... بما أننا التقينا صدفة فما رأيك لو ذهبنا إلى مكان نروي فيه عطشنا. دعيني أحمل عنك بعض الأكياس... أعرف مكاناً جميلاً يقدمون فيه الشاي اللذيذ في مثل هذا الوقت أما في الليل فيتحول إلى حانة.

- ألهذا تعرفه أنت؟

- ربما... لكنني لا أعيش هنا، أنا أزور البلدة عند الضرورة فقط.

جلسا على أريكة منخفضة، أمام نوافذ غرفة تصل إلى الحانة المقفلة حتى المساء. اللوحات القديمة المعلقة على الجدران هي صور هذه المنطقة منذ عهود مضت.

قدم لهما الشاي بسرعة وبطريقة ودية. لكنها أحست بالذنب قليلاً لأنها تجلس هنا مع رجل يُعد بالنسبة لها غريباً كل الغرابة والأهم أن عليها العودة إلى العمل، لكن رئيسها طردها تقريباً من المكتب موحياً إليها بقضاء هذا اليوم حيث تشاء. سألها ريتشارد بنغلو:

- ثمة ما يقلقك؟

- ربما... إذن لقد عدت من عملك في الجزيرة التي تشابه سطح القمر؟

- نعم لفترة قصيرة... لكنك لم تسأليني ماذا أفعل هنا؟ يمكنني طرح السؤال نفسه عليك.

- إنها قصة طويلة.

- لكن نيويورك بعيدة عن هنا، بما فيها مكاتب ايستمان كوربريشن الكبيرة.

- كيف تعرف مكان الشركة؟

شرب الشاي، ثم مد يده لتصب له المزيد:

- وهل أعرفها؟ هذه انباء جديدة.

- أنت لا تعني... إنك تعمل فيها؟ وإنك طوال الوقت الذي أصادق فيه جـ... السيد باركو، كنت تعرف أنني أعمل لأيستمان، ومع ذلك لم تقل لي

إنك تعمل فيها أيضاً؟ ولم تخبرني كذلك بأن باركو رب عملي؟

فابتسم، وتناول قطعة بسكويت من الطبق أمامهما... فتابعت:

- فهمت الآن سبب مناداتك له بالرئيس لقد سألت جـ... السيد باركو عن السبب، ولم يخبرني.

- بالطبع لن يخبرك لأنه كان سيفسد رياضته؟ كان سيتوقف القط عن التلاعب بفأرته الصغيرة... ثم اسمعي، لا عليك ناده باسم جريج فأنا أعرف كل شيء عن علاقتكما.

- لم تكن علاقة كما تعني.

- لم تكن؟ ماذا كانت إذن؟ قبلة عابرة على الخدين... ومع ذلك نام معك!

استدار رأسها من حولها فزعاً:

- كيف...

توقفت وقد أفزعها ما كشفت عنه... فتابعت مدافعة:

- نحن لم... أعني... كان الأمر... لماذا أشرح لك؟

- لا تشرحي شيئاً، فأنا أعرف رب عملنا خير معرفة... وأعرف لنقل... نشاطاته مع النساء، دون أن يخبرني أحد عن هذه الناحية منه.

كانت كاثي على استعداد للإمساك برأسها لولا أن الحركة ستكشف له شدة قلقها:

- هل قال لك شيئاً عنا؟

لو أنه خانها إلى درجة أن يبحث أمرهما مع موظفيه...

- لم يحتج إلى ذلك. لأنني حزرت بأنه قضى ليلته معك، فرؤيتكما معاً أوحت إليّ وإلى أي شخص آخر، بكل ما أريد أن أعرفه.

سألته:

- هل أخبرت أحداً آخر؟

- أتعنين هل أوصلت المعلومات إلى مصادر إشاعات الشركة ليتحدثوا عنها؟ لا لم أفعل بعد.

وقف، ثم قرع الجرس اليدوي، ودفع الحساب. أحست بالذعر من الماته، ثم ابتسمت للمرأة التي خدمتهما، والتقط ريتشارد أكياس المشتريات، وعملت كاثي ما تبقى. سألته:

- ماذا تعني بأنك لم تفعل بعد؟

فابتسم وأطرق:

- ربما أعني... أن الأمر قد يفلت من لساني يوماً، عندما أكون مستغرقاً في الحديث مع أحد الزملاء... على كل الأحوال الزميلان الآخران كانا معي... كنت هناك أنا والرئيس وجو وتود، وهما ليسا أعميين. لكنهما لا يتكلمان وكذلك أنا ليس عن قصد.

نظر إليها ثم أبعد نظره. قطعا الشارع ومرا قرب صف من الأبنية الحجرية القديمة لها شرفات متصلة وكأن الواحدة تسند الأخرى. قالت له:

- أنا ذاهبة إلى سيارتي... سأتركك هنا. شكراً على الشاي.

- وأنا كذلك ذاهب إلى سيارتي... هل لديك سيارة خاصة؟

- إنها زلة لسان... لقد استعرتها من الآنسة باترسون.

- آه... سالينا الجميلة المتملكة... لقد التقيت بها إذن؟ الآن عرفت ما أعنيه عندما قلت لك إنه أبعد من منالك، فهي لن تدعه وشأنه.

- لم أتصور أبداً أنها ستفعل.

- فلماذا تبعته إذن إلى بلدته؟

وصلا إلى جانب سيارة سالينا، وفتحتها كاثي لتضع الأغراض فيها... قالت له:

- لم أتبعه... لقد استدعاني. فأنا أصبحت سكرتيرته بعد أن رقاني.

ارتفع حاجباه الملوحان بأشعة الشمس:

- هل فعل هذا؟ حسناً حسناً!

ابتسم... لكن ابتسامته لم تكن ودية، ثم رفع يده محيياً:

- سأراك في المنزل بعد خمس دقائق، لا تدهشي فيما لو سبقتك. أنا مضطر لرؤية الرئيس من أجل العمل لا للمتعة.

بعد أن قال هذا التعليق المبهم، قصد سيارته.

وضعت كاثي ثيابها الجديدة فوق سريرها، معجبة بها، ثم علقتها في الخزانة... فهذه الليلة، كما قررت، سترتدي تنورة طويلة زرقاء وقميصاً أبيضاً مزرراً.

وجدت على طاولتها عملاً أبقاها مشغولة فترة طويلة. تساءلت عما إذا كان هناك موعد نهائي، فالتقطت الهاتف الأسود.

- نعم؟

الرد كان باتاً. فلا ريب في أنه عرف فوراً هوية المتكلم... سأدعه يعرف أنني إنسانة، لا «روبوت».

- لقد اشتريت بعض الثياب الجميلة المناسبة أكثر من الفستان الذي ارتديته بالأمس.

ساد صمت طويل، فقطبت:

- سيد باركو؟

- نعم؟

سمعت سعالاً عن بُعد تبعه نحنحة رجل، إذن هذا ريتشارد بنغلو يعلن عن وجوده! وهو دون شك سمع ما قالته:

- لقد وجدت الشريط على الطاولة. كم لدي من الوقت لأنهيه... أرجوك!

أصبح صوتها الآن خشناً بحسب مقتضيات العمل.

- أنهي ما تقدرين على انهائه قبل منتصف صباح الغد.

ثم أقفل الخط.

كان ريتشارد بنغلو يجلس على الأريكة قرب سالينا عندما دخلت كاثي غرفة الجلوس، يرتدي ثياباً رسمية لم تشاهده مرتدياً مثلها من قبل. حملقت فيها العيون ثم ارتفع إبهام ريتشارد عالياً وهي إشارة تمثل الإعجاب أما سالينا فأبدت إعجابها بالكلمات.

- هذا أفضل... أفضل بكثير من الفستان القديم الطراز الذي ارتديته بالأمس.

- كان الوحيد الذي أحضرته معي... وكنت قد ابتعته لأحضر حفلة عشاء رسمية.

فقاطعها ريتشارد:

- ثمة حكمة تقول «لا تعتذر أبداً ولا تشرح أبداً» فأنت ستبدين رائعة الجمال في أي شيء ترتدينه يا كاثي.

رمقته بنظرة متوترة، وكأنها تقول له: أنا لم أعطك الإذن باستخدام اسمي الأول...

نقلت سالينا نظرها من أحدهما إلى الآخر:

- هل التقيتما من قبل؟

سارعت كاثي إلى القول قبل أن يخترع ريتشارد أحد تعليقاته المزدوجة المعنى:

- نعم منذ زمن فنحن نعمل في الشركة نفسها أليس كذلك، ريتشارد؟

بينما كانت تتكلم فُتح الباب وأطل منه جريج الذي كان على ما يبدو يستمع باهتمام بارد. فهل لذعه حماسها الزائف في معرفة ريتشارد؟

ارتفعت ذراعا سالينا الجميلتين إلى خطيبها الواقف وراءها الآن، فانحنى لتطبع على خده قبلة:

- لقد دمغتك باحمر الشفاه يا حبيبي.

دون أي حرج، أخرج منديلاً مسح به وجهه وعيناه لا تبرحان وجه كاثي التي أشاحت نظرها عنه... فريتشارد بنغلو ليس غبياً... وهو يراقبهما. ربما ليعرف مدى ردة فعلها أمام تمثيلية «دلال» سالينا.

لكن هذه التمثيلية لم تكن لتعوّض عن ذاك الانفجار العاطفي الذي قامت به ليلة أمس أمامها... لماذا قامت بتلك التصاريح المحطمة بأنه لن يكون هناك علاقات زوجية بينهما بعد الزواج؟ لماذا تمادت هكذا وحكمت على

خطيبها، بأن عليه العيش في حرمان تام؟

هل في تفكيرها شخص آخر؟ شخص تود أن تعاقبه؟ وهل هذا «الشخص الآخر» هو الذي كان معها يوم الحادثة؟

ساعد جريج خطيبته في الانتقال من غرفة الجلوس إلى مائدة العشاء. فكان أن سارت ببطء وراءهما، يرافقها ريتشارد الذي راح ينظر إليها بين الفينة والفينة للفت انتباهها.

عندما كادوا يصلون إلى غرفة الطعام سأل ريتشارد بعفوية:

ـ لماذا لا تجرين تلك العملية الجراحية يا سالينا؟ فتعودين عندها إلى طبيعتك والعالم سوف... حسناً، ملوك الأزياء سيرتمون على قدميك.

كانت قد بدأت تجلس على كرسيها بمساعدة جريج. مضت بضع ثواني قبل أن ترد على ريتشارد بإيجاز:

ـ لن تنجح.

ـ ولكنني أعلم أن الاخصائيين قد شجعوك؟

رأت سالينا نفسها في موضع دفاعي تمقته:

ـ لكنهم لم يؤكدوا النجاح مئة بالمئة.

كانت لهجتها وكأنها تأمره أن أصمت. ولكنه قال بإصرار:

ـ لكني سمعت خبراً مفاده أن الجراحين كتبوا تقارير مشجعة عن العملية.

قالت بصوت ملؤه اليأس والإنكار:

ـ ما سمعته خاطىء.

ـ لعله بعد مرور سنتين قد تبدلت أمور كثيرة إلى الأفضل. فالطب يقفز قفزات عملاقة هذه الأيام بفضل البحوث الطبية.

رفع جريج رأسه عن طعامه فجأة، فإذ به يرى كاثي تنظر إليه... فعاد بينهما التوتر الذي لم يتلاشى يوما. أخفضت عينيها لتنظر إلى حركة ملعقة الحساء...

تابع ريتشارد:

ـ فكري في الأمر سالينا... ستتمكنين من رمي هذين العكازين...

صاحت سالينا:

ـ لِمَ لا تدعني وشأني؟

ارتجفت يدها وهي توجه كوب الماء إلى فمها. فأعادته إلى الطاولة وأكملت:

ـ لا شأن لك في هذا كما لا شأن لجريجوري به.

مدت ذراعيها إليه ثم شاهدتها كاثي للمرة الثانية خلال يومين، تنتحب على صدر خطيبها. فعلى ما يبدو أن أعصابها على شفير الهاوية.

قال جريج بلهجة ناعمة أدهشت كاثي:

ـ سالينا محقة يا ريتشارد... فهذا أمر لا يعنيك.

أطرق ريتشارد، ثم شرع يعيد ترتيب فوطة المائدة على حجره:

ـ لا... أيها الرئيس لكن... أكره أن أرى امرأة جميلة تصبح عاجزة في هذا العالم القبيح.

نظرت إليه كاثي دهشة، فتحت هذه السخرية، يبدو كأن هناك طبقة من الإنسانية فيه.

بعد العشاء، قال جريج لـ ريتشارد:

ـ تعال معي إلى مكتبي، لنتابع مباحثاتنا.

عندما صعدا، انزوت سالينا في مقعدها المفضل. فحاولت كاثي الاسترخاء...

قالت سالينا وكأنها تفضي لكاثي بسر:

ـ أنا أكره هذا الرجل. فهو دائماً يأتي على ذكر موضوع إصابتي. لذا لا أعجب من عدم بقاء زوجته معه أكثر من سنتين أو ثلاثة.

الجدار الذي بنته سالينا حول تلك العملية الجراحية كان غريباً... ولربما اعتقد ريتشارد أنه بمهاجمته ذاك الجدار قد يتمكن من اختراقه... وهذا أمر أدهش كاثي كثيراً.

ـ هل قابلته على الجزيرة؟

سؤالها المفاجىء جعلها توشك على القفز من مكانها. ولكي تلتقط

أنفاسها سارعت إلى القول:

ـ من؟ ريشارد بنغلو؟ ربما... لكنني مع ذلك ما كنت عرفته.

ـ لكنك قلت إنكما تقابلتما منذ مدة. فمنذ متى كان هذا؟

ـ أظنني لمحته في مكتب نيويورك... إنه وسيم وأشقر جداً أليس كذلك؟ ولعلي لهذا السبب أذكره.

رفعت سالينا كتفيها، فتابعت كاثي:

ـ ما عمله انسة باترسون؟ أعني في الشركة.

ـ في الوقت الحاضر هو المسؤول عن تنفيذ كل الأعمال في البهاما، وهذا يعني الجزء الخاص بالتمويل الذي تقدمه ايستمان كوربريشن... فالشركة واحدة من عدة شركات تقدم خدماتها، أو هكذا قال جريجوري.

تطاير الشعر الأشقر وهي تدير رأسها، إلى اليمين أولاً... ثم إلى اليسار... ذلك أن ثقلاً غير متوقع سيطر على العينين الجذابتين، فأغمضتا... ارتدّ رأسها إلى الوراء، وأراحت على المقعد اليدان الشاحبتان اللتان استخدمتهما فيما مضى للإحاطة بقسمات وجهها الرائعة.

راقبت كاثي وجهها، فإذ به أكثر جاذبية اثناء رقادها، وعندما بدأت الدموع تنهمر من تحت جفنيها، متساقطة على الخدين الخاليين من اللون. همست كاثي:

ـ سالينا... ما خطبك؟

ولما لم تتلق الرد... دنت منها فجلست قربها ثم وضعت يدها على الكتف النحيلة، فنفضت سالينا اليد عنها فوراً، وتمتمت وهي تختنق بالدموع:

ـ لا أريد شفقتك.

أمسكت كاثي بالجرس اليدوي فقرعته ثم لم تمض ثوان حتى كان ادوارد بين يديها. فأشارت إلى سالينا قائلة:

ـ ارجوك، اطلب من السيد باركو المجيء إلى هنا بسرعة!

هز ادوارد رأسه ثم ذهب. فقالت سالينا بارتجاف:

ـ لا تستدعيه... فهو ليس الشخص الذي...

دخل جريج، نظر رأساً إلى كاثي:

ـ هل حدث شيء؟

لفتت كاثي انتباهه إلى سالينا. فسارع إليها ليجلس قربها ثم ضم الوجه المنتحب إليه ضاغطاً بشفتيه على جبهتها ثم راحت يده تمسح الشعر الأشقر.

ارتفعت ذراعا سالينا لتتعلقا بقساوة وقوة بكتفي خطيبها:

ـ أنت طيب جداً يا جريجوري... طيب جداً. أريدك أن تعرف كم أنا...

وقفت كاثي بسرعة، فارتفعت عينا جريج لتستقرا على وجهها. لا فائدة... لن تقدر على احتمال امرأة أخرى تبوح للرجل الذي تحبه هي... بحبها. تمتمت وهي تركض إلى الخارج:

ـ أرجوكما اعذراني.

●●●

٩ ـ من سرق الضحكة؟

حملتها قدماها فوق السلم ومن ثمَّ إلى مكتبها. فهي لم تشأ الذهاب إلى غرفتها حيث ستنتظرها التعاسة المنبعثة من ذاتها فأنّى لها إيجاد الحلول للأسئلة التي كانت تضرب تفكيرها وكأنها حجارة من جهنم.

العمل، كما يقولون، هو العلاج الشافي في أوقات المحنة. لذلك قررت أن تتابع طبع تلك الرسائل التي طلب جريج إنهائها قبل منتصف صباح الغد... ما إن أتمت طبع الرسالة الأولى حتى سمعت خربشة على بابها.

التفتت وهي تشعر بطرقات قلبها تخفق بشدة لكن خيبة أملها بدت واضحة على وجهها للرجل الذي دخل الغرفة:

ـ لا... أنا لست الرجل الذي تهوينه أكثر من أي شيء آخر.

فعادت إلى عملها:

ـ أعرف أين هو السيد باركو.

ـ إذن ما زلت تحرقين قلبك من أجله غير عابئة بنصيحتي؟ ماذا حدث في الطابق الأرضي؟ لم أره يهب إلى الممر بهذه السرعة منذ...

وصمت... ثم اتجه إلى النافذة... فسألته:

ـ منذ متى؟

فهز كتفيه:

ـ منذ سمع بحادثة سالينا.

ـ أتعني أنه لم يكن معها عندما وقع الحادث؟

ـ ماذا تعرفين عنه؟

هذه المراوغة التي يقوم بها جعلتها تتساءل عما إذا كان هو «الشخص الآخر» فهل تركها هارباً على ظهر جواده ملقاة أرضاً؟ فهي شعرت بالكره المكبوت الذي تكنه سالينا تجاهه منذ أن ظهر في المنزل... أجابته:

ـ لا شيء سوى ما أخبرتني به سالينا.

شاءت أن تعرف المزيد فراحت تحقق عن الأمر بلطف:

ـ ريتشارد... من كان معها ذلك اليوم؟

ولمَّا لم يرد، تأكدت شكوكها. لكنه ابتسم لنفسه وجلس في الناحية الأخرى من الغرفة على مقعد للضيوف. مادّاً يده إلى جيبه ليخرج محفظة فيها ألبوم صور، ثم بدأ يقلب الصور الملونة، وكأنها مجموعة بطاقات. ثم دعاها إليه بعفوية دون أن ينظر إليها:

ـ هل ترافقينني للرقص الليلة؟

استمر يلعب بالصور ويغير أوضاعها أحياناً...

ـ لا شكراً لك.

لم يبدُ متأثراً برفضها.

ـ منذ متى لم تخرجي للعشاء والرقص؟ أمنذ عطلتك؟ أم منذ جعلك الرئيس فتاته المؤقتة؟

ضربت براحة يدها على الطاولة:

ـ قد أكون سبباً في طردك من العمل لهذا القول.

ـ هل تستطيعين؟ ألك هذه القدرة عليه؟

وقف ببطء ثم تقدم إلى جانبها... ليظهر الصور أمامها على الطاولة. كان يبدو وكأنه يفتح ورق اللعب... سحب منها واحدة. فأحست كأني بالقلق:

ـ من أين حصلت على هذه الصور؟

ـ ممن برأيك؟

ـ هل أعطاك إياها جريج؟

ـ أتظنينه قد يفعل؟ لقد وجدتها في درج مكتبه في نيويورك... وجدت السلبيات لا الصور، التي لا شك في أنه يحتفظ بها في خزنته لئلا يراها

الشخص الغير المناسب.

أحست بجفاف شفتيها، وبالخوف يقبض عليها:

ـ مثلك!

ـ مثلي!

ـ حسناً... لدي مجموعة منها... لذا لا حاجة بي إلى هذه؟

عندما نظرت إليه وجدته يبتسم ابتسامة لم تعجبها... أعادت النظر إلى الصور:

ـ أهي هذه؟

أمسك الصورة بعيداً عنها، لكنها شاهدتها بوضوح. إنها الصورة التي تدينهما أكثر من غيرها فهي تلك التي التقطها ريتشارد...

ابتسم وكأنه يمتلكها أما هي فأحست بضيق التنفس... لكنها حاولت التقليل من أهمية الصور.

ـ إنها لا تعدو أن تكون صور التُقطت في عطلة سعيدة؟ هل استطيع رؤية الصورة التي في يدك عن قرب أكثر؟

ـ لا يا كاثي لونرغان... لن تصلي إلي بهذه السهولة.

جمع الصور ثم قال:

ـ اخرجي معي... أنسى هذه الصور.

ـ وإن لم أخرج؟

ـ سأريها لسالينا... ثم أنقل القصة لتلوكها ألسنة صانعي الإشاعات في الشركة، مظهراً لهم الدليل عند الضرورة.

قالت له من بين أسنانها:

ـ أتعلم ما أنت؟ إنك...

ـ مبتز... ها قد قلتها عنك. والآن... هل ستخرجين معي الليلة؟

ـ لا... الليلة ولا في الليالي الأخرى...

وقف وهو يعيد الصور إلى جيبه، فحدقت فيه وقد اشتعل غضبها فقالت:

ـ لا أصدق تهديدك.

ـ لا؟ هل قلت إن سالينا في غرفة الجلوس؟

ـ وجريج معها... إنها في حالة تعسة.

كانت هذه محاولة لردعه، لكنها فشلت:

ـ هذا أفضل... فبعد لحظات ستصبح أسوأ حالاً.

استدارت بقوة في مقعدها لتواجهه:

ـ كسبت يا هذا... سأرافقك... لكن ليس الليلة... إذ يجب أن أنهي العمل المطلوب مني أولاً.

ابتسم منتصراً:

ـ مساء الغد إذن... سأصحبك عند السابعة...

ـ السابعة... أما الآن فأرجوك اخرج ودعني أكمل عملي.

عندما عادت عيناها إلى العمل، لاحظت أن باب مكتب جريج موصداً ثم رأت جريج يدخل الغرفة. تفكرت منذ متى وهو في مكتبه وماذا سمع؟

تقدم ليقف قربها... ففحكت في سرها وقد تراءت لها نكتة... فهذه الطاولة سحرية تجذب الرجال إليها. فريتشارد وقف هنا منذ قليل وها هو جريج يقف أمامها أيضاً.

مد يده ليدير وجهها إليه وليريها عينيه الغاضبتين:

ـ أو تظنين أنك بصداقتك لريتشارد بنغلو ستتمكنين من نسياني؟

أحست بألم في عنقها من جرّاء الضغط الذي كان يمارسه عليها، وأجابت:

ـ أنا لا أصادقه بل إنني لا أحاول ذلك.

ـ وماذا تسمين هذا الموعد؟ أهو موعد لنقاش فكري؟

أمسكت ذراعه فدفعتها عن وجهها. ثم راحت تفرك عضلات عنقها:

ـ حسناً... أنا أصادقه لعلي بذلك انشيء شيئاً له فائدة.

حسبته سيضربها، لكنه أدار كرسيها إليه ثم أمسك بها من تحت ذراعيها فأوقفها... ثم راح يهزها بقوة إلى أن انسدل شعرها فوق وجهها:

ـ افعلي ذلك يا فتاتي الطيبة الصغيرة... وعندها سأنتزع قلبك فأسحقه

تحت قدماي!

شحب وجهها ووهن جسدها الذي تاق إلى أن يضمها إليه بحنان كما فعل مع ساليا... لكن ذلك كان أبعد من منالها حالياً.

شعرت بأن الضرورة الآن تقضي بأن تقاومه بشتى الوسائل وما ذلك إلا لأنها تحبه حباً لا يعرف الحدود.

ـ أنت تدفع مرتبي وتعطيني الأوامر خلال ساعات العمل، وهناك بالضبط تقف حدود سلطتك علي... أتفهم؟

ازدادت شدة قبضته عليها لكنه لم يلبث أن تركها فجأة فتهاوت إلى الوراء ووقعت في الكرسي:

ـ هيا... دمري حياتك مع ذلك الفاسق... إنه بارع في عمله... لكنه سيء في الحياة والحب. اعلمي أنه لن ينتزع طهارتك فقط بل سيدمرها، جاعلاً منك ألعوبة بين يدي الرجال، بعد أن يطردك من حياته بعد أشهر... أنا الآن انتقي كلماتي بكل حذر... فلو عدت إلي زاحفة تطلبين الشفقة فسأريك كالقمامة.

تركها ثم توجه إلى النافذة ينظر إلى العتمة خارجاً. وضعت كاثي رأسها بين ذراعيها فوق الطاولة مهزومة محطمة لكنها بعد بضعة دقائق، أحست به واقفاً قربها، ثم لم تلبث أن جذبتها يداه لتصبح في لحظة بين ذراعيه.

إنها الآن، حيث رغبت قبل قليل في أن تكون. إنها بين ذراعيه، ورأسها على صدره، حيث أخبرها قرع الطبول تحت أذنها عن حال عواطفه.

ـ يا إلهي... ماذا سأفعل بك. يا فتاتي الطيبة، يا فتاتي التي هجرت الضحكة عينيها؟

خرج منها صوتها خشناً مخنوقاً:

ـ لا أحد... لا أحد قادر على أن يفعل شيئاً حتى أنت... أنت خاطب، وستتزوج... وخطيبتك ليست صحيحة البنية. وليس من العدل أن تتألم عندما تعلم شيئاً عن أخلاقك.

طلبت منه أن يتركها، فتركها.

انهارت على الكرسي ثم ابتسمت له من خلال الدموع التي سمحت لنفسها بالظهور:

ـ يبدو أن قدرك هذه الليلة أن تهدىء عواطف النساء!

فانحنى نحوها، ورفع ذقنها:

ـ ابتسمي... على الأقل امنحيني هذه السعادة.

فابتسمت، التقط الابتسامة كما كان يفعل على الجزيرة. عندما حاولت المزاح:

ـ هل ستضمها إلى البوم الابتسامات؟

فرد ابتسامتها ثم تركها وخرج.

عندما حضر ريتشارد ليأخذها في الأمسية التالية، لم ير هذا سوى ساليا التي قالت لكاثي:

ـ أنا أحسدك، لقد رقصت فيما مضى حتى الثالثة صباحاً، ولم أتوقف إلا... عندما عجز شريكي عن تحريك قدميه.

نظرت إلى ريتشارد ثم أشاحت وجهها عنه لكن ريتشارد لم يقل شيئاً... بل التفت إلى كاثي طابعاً قبلة سريعة على خدها، فراحت ساليا تنقل نظرها بينهما ثم كأنها فقدت الاهتمام عادت لقراءة المجلة.

عندما خرجت مع ريتشارد من المنزل، لم تشاهد أثراً لجريج. لكنها كانت تحس به في كل مكان... فهو دون شك يراقبهما. ويفكر فيها.

كان ريتشارد قد قاد مسافة طويلة قبل أن يقول لها:

ـ أنت لست معي... أنا لم أصحبك لتكوني جامدة. هيا... استرخي. ولا تعودي إلى هذا الجمود لئلا انزعج.

حملت كلماته تهديداً جعلها تحس بالسقم:

ـ لقد ابتززتني حتى خرجت... وها أنا هنا... لكن اعلم أنك لن تجعلني رفيقة مبتهجة بإبرازك تلك الصور أمامي.

فضحك:

- بعد قليل من الرقص، ستبتهجين من تلقاء نفسك.

بعد العشاء، دخلا قاعة رقص خالية من الأثاث، فيها موقد عتيق اصطف فيه حطب لا شك في أنه في الشتاء سيبعث الدفء في المكان عبر هدير النار فيه.

كبتت كاثي أعصابها وصبرت على تودد ريتشارد اثناء الرقص... فابتسم لها وقال ساخراً:

- أنت حقاً تكرهين كل هذا... حسناً... سأخبرك شيئاً لن يعجبك... غداً سترافقينني أيضاً.

كان الرفض جاهزاً فوق شفتيها، لكنها ابتلعته مجبرة شفتيها على الابتسام.

- في المكان والوقت نفسيهما. من أخبرك أنني لا أحب هذا؟

بدا سعيداً... وقد أخذ كلامها على محمل التغيير...

حوالي الساعة العاشرة والنصف، قامت بتمثيل دور المنهوكة.

- هاي... لا تنامي على كتفي! أمامك وقت طويل طويل هذه الليلة قبل أن نودع بعضنا... ولا تدعي أنك لا تفهمين ما أحضره.

- أريد العودة يا ريتشارد... لقد خرجت معك كما طلبت... وإن لم تعدني حالاً... فلن أرافقك غداً.

كان كلامها مبهماً تقوله بتعب فأمسك بفستانها وقد بدا في عينيه خبث أخافها:

- احضري أغراضك ولنذهب.

تركها، فهزت كتفيها لتصلح فستانها فوقهما.

قاد السيارة بصمت بعض الوقت، فأراحت كاثي رأسها على ظهر المقعد.

عندما أحست بيد تبعد عن كتفيها السترة التي لفتهما بها، أجفلت وقد أدركت أنها دون شك غطت في النوم. أحست بوجه يقترب من رأسها... ولاحظت أن ريتشارد أوقف السيارة إلى جانب الطريق، وأن العتمة قاتمة، وظهر شرّ مقاصده في عينيه. تذكرت كلمات جريج فأجبرت نفسها على البقاء

هادئة، وابتسمت له:

- أنا تعبة جداً يا ريتشارد... آسفة لن استطيع فعل المزيد الليلة.

- لكنك نمت، وهذا يعني أنك ارتحت قليلاً، ولماذا تظنينني تركتك ترتاحين هذه المدة كلها؟

هذه المدة كلها، هذا يعني أنهما ليسا بعيدين عن وجهتهما وإن كان الأمر ضرورياً، ضرورياً حقاً، رغم خوفها من التفكير بالسيرّ في هذه العتمة، فإنها قادرة على الوصول إلى منزل جريج دون مساعدة ريتشارد...

لف ذراعيه حولها وجذبها إليه، لكنها حاولت جهدها أن تحبط سعيه. فاستدارت عنه ليواجهه شعرها. لكنه أمسك خصله ليمنعها من الحركة. ثم راح يشد ياقة الفستان الذي لم يتخل سحابه عنها... ثم سمعت صوت تمزق، فصاحت:

- لو أن جريج كان موجوداً عندما أصل، وشاهد تمزق فستاني..

فتركها غاضباً...

- ستكسبين الجولة الليلة... لكن في الغد ستخرجين معي ثانية، وإن لم تفعلي... فأنت تعرفين ما قد أفعل.

أحست بالامتنان لأنها تخلصت منه لو لبضع ساعات إضافية:

- ليلة الغد.

بقيت صامتة ما تبقى من الطريق. وعندما توقف أمام المنزل، كانت في غاية الشوق للخروج من السيارة، وعندما داست قدماها الحصى، شهقت من الألم، لأنها على ما يبدو قد خلعت حذاءها دون أن تحس بذلك. عندئذ رمى لها فردة منه ثم التقطت هي الفردة الأخرى. ومضى هو في حال سبيله وسط زوبعة من الغبار.

مع أنها أوصدت الباب إلا أنه صرّ صريراً مرتفعاً، ثم أكملت المسير فلما وصلت خارج غرفة الجلوس توقفت تصغي لمعرفة ما إذا كانت فارغة.

سمعت أصوات قبلات... تنهيدة، تبعها صوت سالينا:

- جريج... من أجلك أنت، أظن أن علي اجراء العملية... فإذا كنت

سأصبح زوجتك، فمن الإنصاف أن أكون زوجة حقيقية... لأنني قد أرغب في تلقي حبك.

عبست كاثي عندما سمعت هذه الكلمات تبعها تأوه فحركة ثم نهاية قبلة. أحست بالسقم من الصورة القائمة في مخيلتها، فاستدارت لتقف على قدمها التي تغطيها فردة الحذاء لكنها فقدت توازنها.

أرادت أن تمسك طرف الباب لتعيد توازنها لكن ثقلها حرّك الباب فانفتح كاشفاً عنها أمام ذهول الحاضرين.

كانت سالينا ممددة على الأريكة، وجريج يجلس على طرفها، رأسها على ذراعيه، ووجهه مغطى بآثار احمر الشفاه. وكأنما يعرف هذا... أخرج منديلا ليمسح به وجهه وفمه.

أحست بألم يشبه ألم الإصابة برصاصة... في هذه اللحظة شاهدت نظرة الاشمئزاز تعلو وجه جريج، وسمعت صيحة سالينا وهي تقول:

- يا إلهي... ماذا فعل بك يا كاثي؟ هل دحرجك فوق أرض حقل ثم اغتصبك؟ انظري إلى نفسك!

جاء صوت جريج منخفضاً وقوياً وكأنه السوط:

- اخرجي من هنا! وابقي في الخارج.

فاستدارت كاثي وصفقت الباب وراءها، ثم أكملت طريقها فوق السلم وهي تعرج... لم تكد تسيطر على دموعها... آه لو يعرف الحقيقة.

وصلت إلى غرفتها، فرمت فردة الحذاء من قدمها ثم غرقت يائسة في الفراش.

استيقظت باكراً بعد ليلة سهاد وأرق لم تذق فيها طعم النوم فالأحداث المتلاحقة قد دفعتها إلى الزاوية، فهي ليست امرأة ماكرة بل هي امرأة مستقيمة صريحة شريفة لا تستطيع السيطرة على المكر والخداع.

في صبيحة اليوم التالي لم تستطع تصور نفسها تشارك جريج وسالينا الطعام لذا اتصلت بالمطبخ لتطلب من باميلا بعض القهوة، وسرعان ما أحضرت لها

صينية فيها قهوة وشرحات خبز وبعض المربى.

عندما بدأت أخيراً تعمل وتقضم الطعام، ثم تشرب القهوة وتطبع... أحست بطاقتها وبقدرتها على مواجهة معركة المساء القادمة تعاودها. ستخرج مع ريتشارد، لا مفر من ذلك لكنها هذه المرة، قد عرفت ما سيقوم به، سوف تقاومه، بشراسة تتركه بعدها فزعاً منها فترة طويلة.

سمعت صوت باب مكتب جريج يفتح بقوة ثم يُصفق بقوة أكثر. غطت عينيها بيديها تتحضر للمكالمة التي لا شك قادمة... بعد دقيقتين استخدم جرس المكتب لا الهاتف وهذا يدل على مزاجه الأسود، هيأت نفسها للعاصفة القادمة ثم فتحت الباب المشترك لتدخل مرفوعة الرأس شامخة.

وإذا كانت هي تعبة كما أظهرت المرآة، فهو دون شك لم يذق طعم النوم ذلك أن عينيه كانتا تشعان وسط دائرتين سوداوين. أما لحيته فكانت خشنة فهو لم يحلقها وليس ذلك فحسب بل هو امتنع عن ارتداء سترته وربطة عنقه وبقي بقميص جعد.

مد يده بحفنة شرائط مسجلة... فنظرت كاثي إليها... لا يمكن أن يكون قد سجّل كل هذا قبل الفطور...

قال بصوت أجش:

- عندما لا تتمكنين من النوم آنسة لونرغان، كما يبدو عليك مثلي تماماً... فأفضل علاج هو إبعاد التفكير عن الواقع.

- وهل سجّلت كل هذا ليلاً؟

- أجل... وإضافة إلى الرسائل التي أجبت عنها، ثمة تقريران طويلان. أريد منك انهاء العمل قبل عودتي هذا المساء.

أجفلتها هذه الفكرة لأنها تعبة جداً فكيف لها القيام بعمل مرهق بعد ليلة من السهاد.

- هل أنت خارج؟

- إلى نيويورك... ألم تخبرك جيني عن هذا؟

- لقد أخبرتني لكنها قالت إنها اعتادت على مرافقتك في السفر.

وقف ثم أخذ يفك أزرار قميصه تحضيراً لتغييره... راحت تنظر بذهول إلى جسده المغطى بالشعر الذي توسدته في الجزيرة، تلك العضلات المعجبة بها. أحنت بصرها إلى خصره، لكنها عادت فانتبهت إلى ما تفعل باستراقها النظر إليه. فابتسم بسخرية:

ـ أنت تعرفين المزيد الآن عن الرجال آنسة لونرغان... فبعد الأمسية المليئة بالأحداث التي قضيتها مع ريتشارد بنغلو... أراهن بأنه علمك اشياء لم تعرفي حتى بوجودها.

ألم يقل لها إنها لن تحب الرجل الذي تحت اللحية؟ كم مرة كرر هذا لها؟

هزت رأسها لكلماته... ولكن ما فائدة الإنكار؟

ـ هل أبدل ثيابي لأسافر معك سيد باركو؟ وهل آخذ هذه التسجيلات معي؟

ـ لن احتاجك هناك. ففي الشركة العديد من السكرتيرات الكفوات اللاتي يمكنني الاعتماد عليهن في عملي.

ـ هل ستدرب إحداهن سيد باركو لتحل مكاني؟ بعد أن تصرفني من الخدمة.

دنا منها ثم أمسك ذراعيها حتى كاد يسحقهما:

ـ أرجوك دعني!

عندما جذبها إليه، أحست بخشونة صدره عبر قماش قميصها الرقيق، تراجع رأسها إلى الوراء دون أن تحاول الخلاص منه.

ـ السخرية صدرت منك، بعد ليلة أمضيتها مع ريتشارد بنغلو هي كالقطن الجاف... قد تصدمي لو عرفت أنني أفكر فعلياً في تدريب شابة أخرى لأنني في النهاية لن احتاج إليك.

صرخت، محاولة اخفاء تأثرها من ضربته:

ـ ولماذا نقلتني من وظيفتي الأصلية إذن؟ كنت سعيدة هناك، أكثر مما أنا عليه في هذه الوظيفة، لماذا لم تخبرني أنك تريدني سكرتيرة لك مؤقتاً.

حلت السخرية مكان الغضب فيه:

ـ كنت أقصد أن يكون مركزك دائماً لكن لسبب لا استطيع الآن أن اذكره... كنت أريدك... قربي... لكن بعد ليلة أمس وفسقها الذي بدا واضحاً على مظهرك، غدوت لا أريدك بعد الآن.

فتح درجاً، ثم أخرج فردة حذائها:

ـ هذا لك كما أتصور؟ لقد وجده ادوارد بين الشجيرات هذا الصباح... ولن اسألك كيف وصل إلى هناك.

فأخذت الحذاء منه، وقالت بحقد:

ـ لكنني سأخبرك... لقد رماني ريتشارد به، من غيظه.

فرد ساخراً:

ـ أنا آسف له. ربما لم يدرك أنك «طاهرة» إلا بعد فوات الأوان... لا تهتمي... في المرة القادمة سيتحسن اداؤك.

ضمت كأس شفتيها:

ـ أكرهك يا جريج باركو! كم كنت غبية عندما اعتقدت أنني أحببتك منذ أن التقيتك فوق الجزيرة.

لكنها قبل أن تخرج حاولت للمرة الأخيرة تبرئة نفسها:

ـ أنت لا تفهم يا جريج... أنت لم تفهم شيئاً.

عندما عاد جريج للدخول إلى مكتبه ذلك المساء، كانت قد أنهت العمل الذي أعطاه لها. دخلت إليه حالما قرع الجرس مشيراً إليها دون اكتراث بالاقتراب، ومع أن غضبها تضاعف بسبب عدم احترامه، فقد وضعت كومة الرسائل أمامه دون كلام ثم لم يلبث أن صرفها بإيماءة من يده. وهذا أمر، قررت أن لا تتغاضى عنه:

ـ هل وجدت سكرتيرة سيد باركو؟ وهل ستذهب كثيراً إلى نيويورك لتدريبها، كي تتخلص من وجودي في أقرب وقت؟

لعنت نفسها لأنها سمحت لشفتها السفلى بالارتجاف خاصة وأن تعاستها لم تؤثر فيه ولو قليلاً فقد قال بقسوة:

ـ احملي نفسك وسخريتك واخرجي من هنا... قبل أن أرتكب ما أندم

عليه طوال عمري.

ـ هذا ما لن يكون لأنك بارع في السيطرة على أعصابك... أم أنك نسيت تلك الليلة التي شاركتني فيها فراشي؟

ثم بلمح البصر كان أمام الطاولة ليسارع إلى إمساك كتفيها في حين قدحت عيناه نيراناً وارتجف جسده غضباً. أما هي فوقفت بين يديه ترغب فيهما لا عاقبانها بغضب بل لشيء آخر. همست وعيناها مغرورقتان بالدموع:

ـ هل يعقل أن تنسى الأحاسيس القديمة فلا تعود إلى الذاكرة؟

تغيرت تعابير وجهه بشكل غريب، دون أن ترق... لكنه تركها عائداً إلى كرسيه، فوضع يده على كومة الرسائل، وانتظر إلى أن خرجت.

قبل عودتها إلى غرفتها، نزلت إلى غرفة الجلوس، هي تعرف أن جريج لن يكون موجوداً فيها. أما سالينا فكانت كالعادة في مقعدها، حيث كاثي بتقطية ممزوجة بابتسامة خبيثة:

ـ يا إلهي... كم تبدين مزرية! لقد انتزع منك الأمر حقاً... وإذا كان يقوم بهذا مع زوجاته السابقات، فلا عجب انهن طلقنه!

لم ترد كاثي على الإهانة:

ـ سأكون مسرورة لو أبلغت باميلا أنني لن أتعشى هنا.

ردت سالينا بقلة أدب:

ـ أخبريها بنفسك. هل لديك موعد مع ريتشارد هذه الليلة أيضاً؟ يا إلهي لا بد أنك تحبين العقاب!

قررت كاثي أن هناك حدوداً لقدرتها على تحمل الإهانات:

ـ ألديك معرفة شخصية بالطريقة التي يتصرف بها ريتشارد مع المرأة؟

شحب وجه سالينا من الغضب حتى أحست كاثي برغبة في الاعتذار. وهذا ما فعلت لكنها لم تفلح في التخفيف من وطأة غضب هذه المرأة. فما كان منها إلا أن انسحبت مسرعة إلى المطبخ وكأنه خير ملاذ تحتمي فيه.

ـ آسفة باميلا، لكنني أغضبت الآنسة باترسون... لم استطع منع نفسي... فقد أثارتني كثيراً.

ـ لا يدهشني أن تردي على ما تقول يا آنسة كاثي ذلك أن سالينا أحياناً قد تفقد الملائكة صبرها، لكن ما يغفر لها ما تقوم به المصاب الذي هي فيه. لا تقلقي، سألقي نظرة لأرى إذا كانت بخير.

ـ شكراً باميلا... كنت سأقول لك إنني لن أتعشى هنا الليلة.

ـ هل أنت خارجة؟ حسناً، متعي نفسك.

تبعت باميلا كاثي إلى الخارج تحث الخطى إلى غرفة الجلوس بينما اتجهت كاثي إلى السلم فقالت باميلا:

ـ آه... هذا سيد جريجوري... سيتولى العناية بالآنسة سالينا.

وعادت إلى المطبخ. وصل جريج إلى أسفل السلم، في الوقت الذي وصلت كاثي إلى أوله.

ـ ماذا حصل؟

ـ لقد قلت شيئاً أزعج الآنسة باترسون وجعل وجهها يشحب فأخبرت باميلا لتخبرني فيما لو تبعتني دون العكازين لتخمش وجهي.

فأرخى قبضته عنها ثم فتح الباب. شجّعها عدم غضبه على السؤال:

ـ ثمة شيء كان بينها وبين ريتشارد بتغلو في الماضي؟

فرد بسخرية:

ـ اتّخذ تفكيرك مساراً خاطئاً آنسة لونرغان. عودي إلى مربعك الخاص وابدئي من جديد.

صعدت السلم ببطء وهي تتكلم:

ـ أعني... أنها أخبرتني أن شخصاً آخر كان برفقتها يوم الحادثة، لكنها رفضت كشف هوية ذلك «الشخص الآخر» وظننت في البداية أنه أنت.

ـ عقلك «التحرّي» يعمل جيداً، أليس كذلك؟

توقفت عند أعلى السلم فالتفتت إليه متابعة:

ـ كما أنك أنت لن تتابع ركوب جوادك تاركاً إياها ملقاة أرضاً...

رمقته متحدية لتكمل:

ـ فأنت شريف جداً... كما تقول هي لذا فكرت في أنه قد يكون

ريتشارد.

- جريجوري!

جاءه النداء الملح من الداخل فدخل إليها ثم أقفل الباب بقوة أما هي فأسرعت إلى غرفتها لتغلقه وراءها بقوة أيضاً.

اختارت أقدم وأتم بذلاتها لترتديها الليلة، ثم انتقت لها قميصاً مزرراً حتى العنق... بينما كانت تحضر الملابس هله، سمعت وقع أقدام تبعه استدارة مقبض الباب فولوج جريج الغرفة ليصب عليها جام غضبه. هربت نحو الحمام لكنها فشلت في الوصول إليه في اللحظة المناسبة، لأنه كان قد سبقها فأمسكها ثم أدارها لتواجه غضبه:

- إذن ستخرجين الليلة أيضاً للعشاء؟ لا داعي لمعرفة صاحب الدعوة.

مد يده ليجذبها نحوه:

- اعلمي أنني سأمنعك بشتى الوسائل وهذا يعني أنني سأفعل كل شيء.

برزت أمامها صورة ريتشارد عندما رفضت الخروج معه. فقالت برجاء:

- لا يجب أن تمنعني يا جريج «يجب» أن أخرج معه.

- «يجب» أن تذهبي إليه؟ لماذا؟ هل أنت حامل منه؟

اتهامه بأن أخلاقها انحدرت إلى هذه الدرجة ضجّ في الغرفة حتى صاحت به:

- لن أقبل إهانتك! أتصدقني لو قلت لك إنه لم يمسني! أعلم إنه لم ينجح في ما أراد! أرجوك... أرجوك صدقني!

- ما فائدة التصديق أو عدمه؟ وهو ينوي الليلة متابعة ما لم ينهه بالأمس ومن خلال تجربتي واستجابتك الحميمة مع الرجل حيث تعمدين إلى التوسل ما إن يثيرك فأنت...

- ألا تعلم أنك بالنسبة لي رجل مميز. أرجوك... هل لك أن تدعني لأني بوعدي؟

طلبها دفع غضبه إلى درجة الانفجار حتى أحست بأنها تحترق من الحمم البركانية المندفعة من فمه:

- ثمة طريقة واحدة تمنعك من الخروج مع الرجل الذي سحرك أكثر من أي رجل آخر.

وضع يديه عليها، ثم ألقاها على السرير...

عرفت يداه طريقهما إليها فهو لم ينسَ ما كان يسعدها في الماضي...

جلس على السرير ثم أمسك رسغيها ورفعهما إلى ما فوق رأسها بيد بينما راحت الأخرى تكتشف ما يحلو له. أخذت تهمس:

- لا... لا يا جريج.

كانت رغبتها تصارع خوفها من عدم الحفاظ على موعدها... وما قد ينتج عنه... راحت اصابعه الوحشية تمر على جسدها كيفما اتفق... ولم يكن يسعى إلى إسعادها بل إلى ارضاء نفسه. وعندما انفرجت شفتاها لتحتج أطبق عليها ليسكتها، فلم يكن منها إلا رفعت ذراعيها تتعلق به دون وعي.

سمعت صوت إطارات سيارة تقف في الخارج... دخل صوتها في عالم أحلامها الذي أوصلها إليه جريج. فحاولت دفعه بعيداً براحتيها مبعدة رأسها إلى البعيد.

قالت له بإصرار وهي تضع يدها على صدره:

- يجب أن تصغي إلي...

فضربها على يدها بيده... لكنها كانت مصممة على إكمال ما تقول:

- ... يجب أن أخرج مع ريتشارد... يجب! أرجوك لا تسألني لماذا...

سمعت طرقات ريتشارد تدق على باب مخدومه القديم... فتمتمت:

- اوه... لا... أنا لم ألبس بعد.

بدا أن مزاجه قد تغير إلى التسلية بعد أن علم أنه مسيطر عليها تماماً:

- سأقول له إنك لست جاهزة!... وسأسألك الآن لماذا من المهم أن تخرج مع أحد موظفيّ الكبار.

- دعني اذهب... هذا كل ما أطلبه... لدي أسبابي...

- أراهن أن لديك أسبابك. لكن باستطاعتي التعويض لك عما سيفوتك

منه، بشكل أفضل بكثير.

كان عقلها يصوّر ما قد يحدث الآن في غرفة الجلوس. لا شك في أنه ينظر إلى ساعته الآن، ذارعاً الغرفة، منتظراً وصولها... بذلت مجهوداً خارقاً لتدفع جريج عنها ثم ركضت إلى الحمام، لكنه أمسكها، فصاحت:

ـ لا يمكنك منعي! لا يجب أن تمنعني!

ـ لا يمكنني! لا استطيع!

زادته أوامرها التي رمتها في وجهه غضباً شديداً جعلها تدرك شدة خطئها في تحديه أو في فرض إرادتها على رجل له هذه القوة البدنية لكنها في وضع يائس.

أدارها نحو الحمام ثم أوصد بابه وهو ممسك ذراعيها.

أججت المطاردة، رغبته... بدا ذلك واضحاً من احمرار عينيه وهو يقف مسنداً جسده إلى الباب.

ـ والآن... أريدك...

صوته كان كالفحيح الخط

ارتدّ رأسها في مـ... ...ب:

ـ جريج ...دري ما ستفعل بإبقائي هنا. ريتشارد سيقوم بما سيؤثر عـ... خاصة سالينا.

لم يـ... عن الباب مع أن رغبته زالت وكأنها لم تكن. قال آمراً:

ـ أخبريني!

لفت يديها حو...سدها، وهزت رأسها، وارتفعت عيناها نحوه:

ـ أظن أن الوقت فات الآن. بسبب خروجي معه ليلة أمس وموافقتي على الخروج الليلة أيضاً... هو...

هل تكمل؟ ولكن من المستحيل التوقف الآن، وهو ينظر إليها هذه النظرة الثلجية الغاضبة التي يطلقها نحوها:

ـ لقد حصل على نسخة من كل تلك الصور التي التقطناها في الجزيرة. وهددني بها قائلاً إنه سيريها لسالينا إذا لم اتعاون معه.

ضرب كفه بقبضته:

ـ ابتزاز! أنا أعرف ريتشارد بنغلو وعقله الأعوج!

سمعا نداء من الخارج... وصوت ادوارد، ثم ضرب على الباب:

ـ سيد باركو... هل أنت هنا؟

فتح جريج باب الحمام فطالعه ادوارد وهو يقول بصوت مضطرب:

ـ إنها الآنسة سالينا سيد باركو... إنها في حالة يرثى لها! تبكي وتناديك.

ـ أنا قادم... ابق معها يا ادوارد إلى أن أصل... وأنت... أريدك معي...

نظر إليها وهي نصف عارية، ثم أخذ روباً من الخزانة وناولها إياه:

ـ ضعي هذا حولك.

ـ جريج... حتى هذا الروب لن يظهرني محتشمة!

أمسك ذراعها:

ـ إما أن ترتديه وإما أن أخرجك كما أنت... ولن يعارض بنغلو هذا. لكن سالينا قد تفعل.

ارتدت الروب، وربطته بسرعة. كانت قدماها حافيتين. لكنه لم ينتظرها لتجد الحذاء... فصاحت به:

ـ لماذا تعاملني هكذا؟... أنا ضحية الابتزاز... ولقد استسلمت للابتزاز لصالحك.

ـ أنا واثق من هذا.

ـ هذا ليس عدل!

تجاهل احتجاجها، وأجبرها على السير إلى جانبه. عند أسفل السلم تركها، وسمعا أصوات نحيب تقطعه كلمات مفجوعة تقول إنه من غير المعقول أن يقوم جريج بذلك. وقبل أن يدخلا قال لها:

ـ انقذي نفسك من هذه الورطة بنفسك.

ـ ولكن الدفاع يحتاج إلى اثنين، فالرجل الذي معي في الصورة هو أنت...

صدمتها حالة وجه سالينا، وهي تنظر إلى عينيها المتورمتين. وجسدها المرتجف الممدد على الأريكة.

صاحت سالينا عبر شفتين مرتجفتين.

- جريج... كيف لك أن تتخذ عشيقة وأنت مسافر؟ ثم تأتي بها إلى هنا على أنها سكرتيرتك!... لقد وعدتني! كيف أثق بك ثانية؟

جلس قربها ليجذب جسدها المرتجف إليه... فلم تستطع كاثي تحمل النظر. فهاتان الذراعان منذ لحظات، كانتا تحيطانها!

شاهدت كاثي الصور مبعثرة على السجادة، وكأنها رميت في الهواء باشمئزاز... بعد ذلك نظرت إلى ريتشارد بنغلو، وصاحت به:

- أيها المبتز!... هل ترى ما فعلت؟ أتمنى أن تكون سعيداً الآن!

فرفعت سالينا رأسها عن كتف جريج:

- أعرف ما فعل... لقد فتح عيني على الحقيقة. ولولاه لما عرفت ما يجري بينك وبين خطيبي.

- أتعنين أنك موافقة على خطط الابتزاز التي قام بها؟

- بل أعني أنني أدينك أنت...! انظري إلى نفسك، نصف عارية! انظري إلى نفسك كيف عدت من السهرة مع ريتشارد... أنت لست سوى عاهرة حقيرة دون أخلاق... وليس هذا فقط بل لك الجرأة والوقاحة لتتهميه بالابتزاز!

ردت كاثي بكبرياء:

- وقاحة أم لا آنسة باترسون... هذا بالضبط ما كان يفعله... أتعلمين كيف حصل على الصور؟ لقد سرق السليبات من... مكتب السيد باركو.

تقدم ريتشارد ليضع يده على كتف كاثي بكل وقاحة:

- هيا الآن يا حبيبتي... لقد ساعدتني على الحصول عليها. لقد كنت مشتركة بهذه القصة معي... كوني صادقة.

أفلتت منه بقسوة ووجهت له كل كرهها:

- أنت كاذب مبتز...

- كاثي...

الزجرة أتت من جريج الذي كان يملس شعر خطيبته... عندها لم تستطع كاثي تحمل المزيد فصاحت:

- سأترككم... سأنسحب... فأنا أكرهكم جميعاً... لن أقوى على البقاء هنا لحظة أخرى.

رد عليها جريج بصوت بطيء قاطع:

- إذا تركت المنزل... لن تفقدي فقط مرتبك المرتفع، بل لن تجدي وظيفة أخرى في الشركة...

- لا يمكنك ذلك!

- بما أنني رئيس الإدارة التنفيذية فيمكنني فعل ما أشاء.

رد ريتشارد بنظرات كريهة:

- إذا طردتني يا جريجوري... سأدع العالم كله يعرف السبب... وهذا لن يفيد الشركة مطلقاً ولن ينفع سمعتها...

وضع جريج خطيبته المنتحبة على الأريكة ثم وقف مشتعل العينين غضباً... لكن لهجته كانت لينة عندما قال:

- لا تبتزني يا ريتشارد.

أطرق الرجل نظراته إلى الأرض أمام حدة نظرات سيده... أما كاثي فراحت تنظر إليهما مذهولة. فثمة شيء لا تعرفه... شيء، أحست به، لا علاقة لها به.

امتدت يدا سالينا إلى جريج:

- جريج... قل لي إن لا شيء بينك وبين هذه الفتاة... قل لي إن هذه الصورة ليست إلا لهواً يسبق زواجنا!

عاد إلى الجلوس قربها، فأمسك بيدها.

- لقد كانت لهو عطلة يا سالينا.

فتنهدت، وأخفضت رأسها إلى كتفه.

- إذن، لقد سامحتك.

البسمة التي أطلقتها نحو كائي كانت بسمة انتصار.

نظرت كائي مصدومة إلى عيني جريج... لقد دعا ما بينهما بعلاقة لهو... وهي التي قالت له إنها تحبه؟ نظر إليها بثبات... دون أن يتحرك... وكأنه لا يتذكر!

استدار ريتشارد إلى كائي، وبدأ يصدر أصوات سخرية... وعندما شاهد عذابها... خرج... والباب الخارجي يُغلق خلفه... أما هي فتركت جريج وخطيبته وحدهما إذ لا شيء قد يقال بعد الآن.

●●●

١٠ ـ قلب واحد يكفي

أمضت كائي الأمسية تتجول في الحدائق المحيطة بالمنزل... ثم صعدت لتستحم...

عندما اكتشفت أنها تزيد إلى كمية مياه المغطس دموعها الجارية على خديها، خرجت من الماء لتجفف نفسها... ما فائدة الإدّعاء؟... فجسدها متعش، لكن تفكيرها هو الملبد.

بعد ساعتين من الاستلقاء في الفراش غدا جسدها ملبداً وعقلها متيقظاً... خرجت من السرير فارتدت سروالاً وقميصاً وسترة، وانتعلت حذاءاً مناسباً ثم نسللت إلى الممر.

فتحت باب الخروج الذي تعالى صريره قليلاً ثم قصدت الحدائق ماشية بسرعة يعاونها على طريقها مصباح يدوي.

بدا لها الكوخ من بعيد... أكبر حجماً في الظلام... لكنها ما إن وقع بصرها عليه حتى تذكرت مداعبات جريج الوحشية عندما كانا فيه.

طالما نادتها الغابة منذ أن وصلت، لكن وقتها الضيق حال دون أن تكتشف غموضها... أما الآن وهي في العتمة فقد وقفت الأشجار مرتفعة تنتظرها بصمت... ونظرت فيما حولها، فاطفأت مصباحها ووضعته في جيبها... وانتظرت... انتظرت ماذا؟

فجأة أجفلها صوت أغصان الشجر خلفها. من يلاحقها؟ أهو ريتشارد يغلو يسعى إلى الانتقام؟ ارتجفت خوفاً ثم راحت تركض على غير هدى، فلو زارت هذه الغابة قبل الآن لأمكنها معرفة بعض سبلها.

كانت منطقة مجهولة بالنسبة لها، لكن من يلاحقها يعرف كما يبدو كل جذع وجذر وكل دغلة، بل كل بركة وحل حيث كانت الجياد تركض فيما مضى. كان يسرع الخطى وراءها الآن... حتى اقترب منها إلى حد جعلها تسمع أنفاسه. فلم تشعر إلا وهي تصيح:

ـ لا ريتشارد، لا... أرجوك أشفق علي... لقد فعلت اسوأ ما يمكنك...

لكن اليد التي أمسكت بها جعلتها تجمد من الخوف ومع ذلك رفضت الاستسلام فتخلصت من السترة، وتابعت الركض.

ـ كاثي... أنا صديق لا عدوا

أمسك جريج كتفيها ثم أدارها:

ـ ألم يقنعك المنطق بأن من المستحيل أن يكون ريتشارد بنغلو هو من يركض وراءك؟ كيف له أن يدخل بوجود كل هذه الأسوار لمنع المتسللين؟

راحت أنفاسها تخرج شهقات عميقة، وهزت رأسها. أما هو فلم يحتج إلى وقت طويل ليلتقط أنفاسه بعد الركض... لكنه لم يكن يمزج الرعب مع الهرب من عدو مجهول. همست:

ـ جريج...؟ لماذا تبعتني؟

رد بصوت منخفض وبلكنته الإسبانية:

ـ لم استطع النوم وأنا أفكر في حبيبتي.

شهقت بعمق عندما جذبها إليه واضعاً خده على شعرها. وقفا على هذا الشكل فترة طويلة، أحست خلالها بالتوتر يتلاشى وبجسدها يتنعش وكأنه أوراق الزهور في نسيم الصيف.

امتدت يدها إلى شعره، فلما وجدته أشعث ملسته وأبعدت بعض الخصلات عن جبهته ثم مرّت باصبعها على حدود شعره من الخلف، إلى أن وصلت إلى اذنه... فبعث فيه رجفة جعلته يتنفس بحدة.

ـ نامي بين ذراعيّ يا فتاتي الصغيرة... هنا إلى جانبي حيث الأشجار سقفنا والعشب فراشنا.

أحس بشوقها فضحك، لا سخريةً بل سعادة... ثم بعد مدّ سترتها على الأرض بقدمه، ليتمددا فوقها قابعين بين ذراعي بعضهما.

ـ كاثي... ذلك البؤس الذي كنت أمر به كل ليلة بدونك! فليذهب كل العالم إلى الجحيم شرط أن تبقي أنت بين ذراعي.

ـ جريج... أتذكر؟ لا أمس... أو غد...؟ فقط الآن... هذه اللحظات؟ أتذكر كيف قلت لك إنني أحبك؟

ـ هل تظنين أنني استطيع النسيان.

ـ ثم...

نفذ صبره من كثرة كلامها، فغطى فمها بيده، وأخذت يداه تداعبان كتفيها وظهرها.

كاد لطفه معها يجعلها تصرخ... ثم أحست بأنهما ارتفعا فوق غيمة عالية انقلبت إلى اللون الذهبي تحت ضوء القمر الفضي... وهما محلقان في سماء الخيال.

تذكرت كاثي أمواج المد التي اقتربت منهما على الشاطىء، وتذكرت قوله: فلتأتِ... فلتأتِ لتحملنا بعيداً إلى الأبد.

يومها ارتجفت... كما ترتجف الآن. قبعت بين ذراعيه تتمتع بدفئهما وبدفء نبضات قلبه التي تؤرجحها وتنقلها إلى عالم كله سعادة. أما هو فغرق أيضاً في أفكاره، سعيداً بها بين ذراعيه. حاولت جذبه إليها من بحر أفكاره، فلفت ذراعها حول ذراعه هامسة:

ـ أنا لك يا جريج، ولا شيء قد يلغي هذا الأمر.

استدار ليطبع قبلة على جبينها المقطب ثم وقف.

ـ لكن هذا كثير علي... فأنا رجل صادق شريف!

كلماته صدرت وكأن لها طعم المرارة في فمه فوقفت بدورها وواجهته:

ـ لست أفهمك يا جريج... ما معنى كل هذا؟ لما تشير لك سالينا دائماً أنك رجل شريف؟ ولماذا حبك لي أمر خاطىء؟ أنا لم أطالبك بشيء كأن تفسخ الخطوبة معها مثلاً.

ـ لو استطعت لفعلت. لكن الأمر مستحيل، لو طلبت منك أن تكوني عشيقتي فهل تقبلين؟

ـ بعد زواجك؟ اوه يا من... لا!

فهز رأسه وكأنها أعطته الرد الذي كان يتوقعه. ثم وكأنه قرّر أن لا فائدة من النوم في الفضاء الطلق معاً. لذا مدّ يده إليها، لكنها هزّت رأسها.

ـ امضِ وحدك وسأتبعك بعد لحظات.

في اليوم التالي، أحست بعذاب كبير يعتمل في داخلها لأنها رأت في وضح النهار لا مبالاته وعدم اهتمامه بها وهو جالس هناك خلف مكتبه. تكلما وتصرفا وكأن لا شيء بينهما، لكن نظراتهما روت قصة أخرى.

بعد الظهر، قالت له كاثي بحزن ثقيل:

ـ جريج... أظن أنه الأفضل أن أتركك.

ضرب بقبضته الطاولة:

ـ ستبقين... أسمعتِ؟ ستبقين!

ـ لكن ثمة حدود لقدرتي على الاحتمال... وأنت تفهم هذا بكل تأكيد.

حدقت عيناه في عينيها إلى أن أدرك بؤسها عندها بدا وكأنه يضع المكابح لعواطفه.

ـ وبمَ تظنينني أشعر؟

فهزت رأسها عاجزة:

ـ هل نمت الليلة؟

وإذ بغضبه يجتاحه من جديد وإذ برأسه يرتفع كاشفاً عن عنقه الأسمر القوي.

ـ لم استطع النوم بدونك... وعلى هذه الحال سأمضي ما تبقى من عمري عاجزاً عن الرقاد دون أن تكوني أنتِ في أحضاني.

أحست بالأسى، فهمست:

ـ هل فكرت فيما أشعر به أنا وما سأشعر به طوال عمري؟

ـ أنت؟ أنت ستنسيني مع الوقت. أما قلت ذلك يوم تعارفنا؟

ـ لم أكن أعني ما قلته. قلته فقط لأريحك...

ـ لو كنت مكانك لجعلت شغلي الشاغل النسيان... وإلا فأنا آسف جداً على زوجك.

ـ كيف تجرؤ؟ كيف تستطيع الكلام معي بهذه الطريقة وبيننا كل هذا الحب.

استدارت لتتركه، هبَّ من مكانه فأمسكها من خصرها ثم جذبها إليه، فاستدارت ثم مدت يداها تعقدهما حول عنقه:

ـ اوه يا جريج... جريج!

ظهر كل بؤسها في هذه الكلمات. أبعدها عنه قليلاً قائلاً:

ـ كاثي... أنت لي.

ثم عادت إليها يداه تحتويانها وتضمانها، فرفعت رأسها إليه تبتسم عندما وكأنما اضيء وجهه بنور لامع، قال بحنان:

ـ لقد أعدت إلي ابتسامتك... آه يا كاثي!

ـ أنت من أعدتها إلي.

ـ إذن من الأفضل أن أسرقها من شفتيك لأضيفها إلى «الألبوم».

وتقبلت كل ما فعله...

عندما انتهى... استقبل كتفه رأسها وبقيا واقفين وهما يتشاركان الهدوء والسكينة اللذين يربطان كل الأحبة، بعد أن ينتهي الفراق بينهما.

أعادهما صوت باميلا ينادي ادوارد إلى الواقع... فعاد إلى طاولته، وعادت إلى مكتبها لتجبر نفسها على متابعة العمل وكأن شيئاً لم يكن.

خلال وجبة العشاء أبرزت سالينا حبها لامتلاك زوج المستقبل فهي لم توجه كلمة لكاثي التي تمكنت من تجنب عيني مخدومها.

كاد العشاء ينتهي عندما أطل ادوارد من الباب:

ـ الهاتف سيد باركو... انه السيد بنغلو الذي يقول إن الأمر ضروري.

فهز رأسه:

ـ بالنسبة لريتشارد بنغلو كل شيء ضروري لعمله. لولا نجاحه في الإدارة

لطردته منذ زمن بعيد.

بينما كان الباب يغلق خلف جريج، التفتت سالينا إلى كاثي:

ـ أنت تحبين جريجوري أليس كذلك؟ استطيع فهم هذا من الصور التي أراني إياها ريتشارد... حسناً... الأمر مؤسف جداً لك! فأنا من ستحصل على هذا الرجل!

ـ أفهم هذا آنسة باترسون.

فهزت سالينا رأسها:

ـ أنت تظنين فقط أنك تفهمين... أنت تظنين أنه لن يتركني بسبب عجزي.

ـ أجل... هذا ما أظنه.

ـ فكري بهذه الطريقة. فلست أهتم أبداً فيما تفكرين...

رفعت يدها لتبرز خاتم الخطوبة:

ـ انظري إلى جمال هذه الزمردة والألماسات التي حولها... ألا تحبين أن تضعي واحدة مثلها، في اصبعك... من يد الرجل الذي تحبينه؟

لم يكن كلام سالينا المسموم هو الذي أزعج كاثي بقدر ما أزعجها عدم قدرتها على الرد عليها بالطريقة نفسها. وأجابت:

ـ الزمرد جميل... وأنا موافقة معك، لكنني أفضل خاتماً بسيطاً... فهذا هو ذوقي... أما هذا كله فلك.

دخل جريج الغرفة، تقدم فوراً إلى سالينا ثم أمسك بيدها.

ـ يجب أن أخبرك شيئاً.

ارتفع رأسها إليه فلما تدلى شعرها على وجهها مد يده ليزيحه إلى الخلف. هذه الحركة جعلت كاثي تغمض عينيها... فسألته سالينا:

ـ أخبار سيئة؟

ثم حدّقت في وجهه شاهقة... وعادت للقول هامسة:

ـ أهو شاين؟

تذكرت كاثي... لقد ذكرت لها ڤيرا اسمه بين مديري الشركة على أنه

الابن الأصغر لصاحب الشركة، أو «الابن الضال» في العائلة.

ـ وقع له حادث سيارة بعد الظهر... فقد كان الطريق مزدحماً وكان هو يسير بسرعة مجنونة فلم يستطع التوقف.

تعلقت سالينا به:

ـ قل لي فوراً... هل خرج سالماً؟

عندما هز جريج رأسه بدا الارتياح على سالينا.

ـ ما مدى إصابته؟

ـ إلى الآن لا نعرف شيئاً... لقد قال ريتشارد إنه وضع في أقرب مستشفى من مكان الحادثة.

ـ هل كان ريتشارد معه؟

ـ في المقعد الخلفي... يبدو أنه كان معهما رفقة أوصلهم شاين وكان يوصل ريتشارد إلى منزله.

لاحظت كاثي أن سالينا كانت ترتجف وهي تتابع السؤال:

ـ أهو في وعيه يا جريجوري؟

ـ إنه يهذي، كما يظهر يا سالينا، ويسأل عنك.

ـ اوه يا إلهي يا جريجوري... سامحني... لكنني ما زلت أحبه. ولم أتوقف عن حبه لحظة.

ـ أتظنينني لا أعرف هذا يا حبيبتي؟

وكأنما لم تسمع... تابعت:

ـ يجب أن أذهب إليه.

حاولت النهوض لكنها وقعت عاجزة:

ـ خذني إليه... لا أهتم بأية حالة جسدية هو الآن أو في المستقبل... أريد البقاء معه، لأرعاه حتى تعود إليه عافيته.

ـ بعد كل ما فعله بك؟

حدقت سالينا إلى وجه خطيبها:

ـ أتتوقع مني الهرب منه كما هرب هو بعد حادثتي؟ الرجل قد يفعل

هذا... لكن المرأة لا تستطيع.

راحت تفتش عن عكازيها... فأخذتهما كاتي إليها بينما ساعدها جريج على الوقوف. عندها ارتفع رأس سالينا بكبرياء:

ـ سأجري تلك العملية... التي ستنجح... لأنني أملك قوة الإرادة لجعلها تنجح.

تقدمت بضع خطوات مؤلمة ثم توقفت لتقول:

ـ سأجعل من نفسي جميلة الجميلات كما كنت يوماً... وستشاهد وجهي على غلاف المجلات ثانية قبل مرور أشهر! وإذا نسي شاين حالتي هذه، فعندما يعود إلى حالته ويرفضني... هل ستبقى راغباً في أن أكون زوجتك يا جريجوري؟

لم يتردد لحظة في الرد:

ـ أقسم لك أنني سأفي بوعدي لك.

رفعت رأسها تقبل خده:

ـ أنت رجل رائع!

ساعد خطيبته في خطواتها المؤلمة، كلم كاتي من فوق كتفه:

ـ قد أغيب بعض الوقت، تبعاً لما قد يحدث... وسأخبر أبواي... فافعلي ما باستطاعتك خلال غيابي... أيمكنك ذلك؟ أما الأمور الأخرى فدعيها إلى أن أعود.

ـ حاضر سيد باركو.

التقت نظراتهما لحظة. كانت نظرته بيضاء أما نظرتها ففارغة.

مر أسبوع على غيابه وسالينا... وكان هذا أطول أسبوع في حياة كاتي. فهي أحياناً كانت تشاهد التلفاز بعينين مغمضتين. في أحد الأيام تسللت باميلا لتطفئه لكن كاتي فتحت عينيها:

ـ هل تمانعين لو اطفأته؟... فأنت ما كنت تنظرين إليه بل تبدين وكأنك تشعرين بالوحدة والعزلة.

أطلقت كاتي بسمة وجدتها في مكان ما.

ـ صحيح؟ اجلسي يا باميلا، أريحي قدميك.

أطاعت باميلا بسرور:

ـ هل قابلت السيد شاين قبل الآن يا باميلا؟

فضحكت:

ـ عدة مرات، لقد كان شاباً ثائراً.

ـ أهو من كان برفقة سالينا وقت الحادثة؟

ـ أجل... ألم يخبرك أحد عما حدث؟

استراحت أكثر في كرسيها، وكأنها تتمتع بدور راوية القصص:

ـ حسناً... وقتذاك كانت الآنسة سالينا مخطوبة إلى السيد شاين... كانا معاً يركبان الجياد. فأرادا القفز من فوق البوابة لكن السيد شاين صمم على القفز قبلها، فأبعدها عن الطريق، وقفز، ثم استدار لينتظر... جواد الآنسة سالينا أخطأ في القفز.

ـ فانزلق ووقع... رامياً سالينا عن ظهره... ثم ماذا حدث؟

ـ حسناً... يبدو أن شاين فزع مما فعله، فهرب، تاركاً الآنسة سالينا ممددة هناك تتلوى دون وعي... ولعله حسبها قد قتلت.

قطبت كاتي:

ـ ألم يعد إلى المنزل طلباً للمساعدة؟

فهزت باميلا رأسها نفياً وأجابت:

ـ قلق السيد جريجوري بعد مرور ساعات، وخرج يفتش، وهناك وجدها. وأنت تعرفين الباقي... أليس كذلك؟

فهمست كاتي:

ـ لا.

ـ حسناً... بقيت الآنسة سالينا في المستشفى أسابيع لم يزرها خلالها شاين ولو مرة. والأنكى من ذلك أنها عندما عادت إلى المنزل، وعاد هو إلى المنزل بعد أن توسلته هاتفياً طلب منها فسخ الخطوبة، ولم يقترب منها.

ـ وبعد ذلك؟

ـ غضب السيد جريجوري من شقيقه وبما أنه رجل شريف، طلب منها الزواج بدلاً من شقيقه، فقبلت... أما الباقي فتعرفينه.

هزت كاثي رأسها ولزمت الصمت:

ـ ألهذا يدعونه بالشريف...

ـ أجل يا عزيزتي وهو شريف فعلاً. إياك أن تشكي في ذلك مطلقاً.

رأتها باميلا تطرق رأسها فقالت:

ـ لقد شحب وجهك يا عزيزتي... هل ترغبين في فنجان من الشاي؟ إنها قصة حزينة، لكنها ستنتهي نهاية سعيدة.

هبت باميلا عن الكرسي... فقالت كاثي:

ـ شكراً لك على سرد هذه القصة يا باميلا.

ـ هذا أمر لا يذكر يا عزيزتي لكنني دهشة لجهلك لها.

تأخر الوقت ليلاً دون أن تستطيع كاثي الاستقرار في مكان... أخذت تذرع الغرفة حتى أوصلتها أفكارها إلى قرار! لن تستطيع الحياة والعمل هنا بعد الآن تحت أي ظرف كان. هي تحب جريج، نعم لكن الجحيم هو أن تكون قربه وهو زوج ساليا.

ارتدت سترة فوق قميصها... ثم نزلت إلى الأسفل. فلما سمعها ادوارد خرج من جناحه وجناح زوجته... سائلاً:

ـ إلى أين تذهبين في مثل هذا الوقت من الليل يا آنستي؟

ـ لأتمشى يا أدوارد، في الحديقة... لم استطع النوم... لذا فكرت في أن السير قد يساعدني... سأتجول قليلاً حول المنزل... لا تقلق... سأوصد الأبواب عندما أعود.

ـ شكراً يا آنسة... لكن تأكدي من إقفال المزاليج كلها... أرجوك.

قصدت الغابة مستخدمة مشعلاً يدوياً، باحثة دون جدوى عن المكان الذي استلقت فيه مع جريج في الساعات الأولى من صباح ذلك اليوم.

عندما أرهقها التعب قفلت عائدة إلى المنزل الذي دخلته ثم أوصدت

الأبواب بحذر كما طلب ادوارد... لاحظت أن هناك مصباحاً مضاء في ردهة المدخل... إذن لقد نزل ادوارد إلى هنا، كي يتأكد من إقفال المداخل جيداً.

وقفت قرب الباب الذي دخلت منه، فخلعت سترتها القديمة، ووضعتها على كرسي في المدخل... ثم تسللت إلى غرفة الجلوس لتجد أن الذي اضاء المصباح والذي يجلس في مقعد هناك ليس أبداً ادوارد.

همست:

ـ جريج؟

فتح عينيه، فرآها واقفة في الباب، أمعن فيها النظر وأبقى عينيه عليها عالقتين فترة طويلة جعلتها تتساءل عما إذا كان يحلم... ضغطت اصابعها على فمها عندما شاهدت الشعر النامي حول فمه وعلى خديه.

فها هو الرجل الذي قد عرفته على الجزيرة قد عاد... خطت نحوه خطوة فاضاءت الابتسامة الظلال حول عينيه وهو يفتح ذراعيه.

كانت دعوة، لن، ولا يمكن، أن تقاومها، تعلقت يديها بسترته ودفنت وجهها فيه... تنشق رائحته... تحب كل شيء فيه.

امتدت إلى ذقنها يد خشنة رفعت وجهها إليه:

ـ أن اراها يعني أن أحبها... وأن أحبها لا يعني سوى الحب إلى الأبد.

أبعدها قليلاً ليخلع عنه السترة التي رماها عبر الغرفة، يراقبها وهي تقع أرضاً. ثم احتوى كاثي من جديد فوضعها على ركبتيه، عاقداً ذراعيه حولها واضعاً خده على جبهتها.

ـ أخبرني عما أصاب أخيك وعما إذا كانت إصابته خطرة؟

ـ أصيب ببعض الكسور في العظم. لكن لا شيء يدعو للخوف وقد أنقذ نفسه لأنه كان عاقداً حزام الأمان الذي منع عنه الإصابات البليغة.

ـ وريتشارد بتغلو؟

نظر إليها وقد تلاشى الدفء من عينيه:

ـ لماذا تسألين عنه؟

ـ من باب الشفقة ليس إلا.

أحست به يرتاح:

ـ لقد خرج من الحادثة سليماً... ريتشارد بنغلو لم يكن موظفاً فحسب بل كان صديقاً لشاين منذ أيام الدراسة.

ـ ألهذا كان يعرف سالينا جيداً. الآن فهمت.

ـ لقد خدعك.

نقطبت:

ـ الأفضل نسيان تلك الحادثة. ألا تظن هذا؟

ـ موافق.

ارتد رأسه إلى الوراء، ثم أغمض عينيه. راقبته كائي والهدوء والاسترخاء يعتليان وجهه... حتى ظنته نائماً. لكنه تكلم:

ـ سالينا في المستشفى الآن... لقد أجريت العملية... والجراحون متفائلين بأنها مع الوقت، ستتمكن من السير الطبيعي.

أبطأت خفقات قلبها المتسارعة:

ـ أي أنكما ستتزوجان حالما تتمكن من العودة إلى المنزل.

ارتفع حاجبيه:

ـ أنت مصممة على تزويجي إياها! أود لو أرى ردة فعل أخي فيما لو سرقت منه زوجة المستقبل!

ابتسم، ثم أضاف عندما شاهد الحيرة على وجهها:

ـ لقد تصالحا، أيتها المرأة الغبية. هل بان لك الأمر الآن؟

مرت بضع دقائق قبل أن تستوعب ما سمعته:

ـ أتعني...؟

مد يده إلى جيب قميصه:

ـ أعني... هذا!

أخرج الخاتم الزمردي والماسي الذي كانت ترتديه سالينا ثم وضعه على الطاولة أمامها... فقالت بذهول:

ـ سالينا ستتزوج من شاين؟ إذن أنت حر؟

ـ حر... نعم حر من وعدي، في الذهاب حيث يرميني هواي... حر في أن آخذ إلى فراشي اية امرأة تستهويني!

ـ اوه...

نظرت إلى حولها في الغرفة حائرة. هو لم يقل مباشرة ما يريد. لكنه يحاول أن يقول ما يحرجها بعض الشيء.

ـ إذن سأذهب الآن.

نهضت فأمسكها ليعيدها إليه:

ـ وإلى أين تظنين نفسك ذاهبة؟

ـ إلى الفراش... فأنا لم استطع النوم... فخرجت لأتمشى...

ـ وأنا تعب كذلك... ستنام معا... ولكن في فراشي.

فهزت رأسها:

ـ اسفة يا جريج... الجواب «لا».

ـ هل ترفضين طلبي؟

ـ أي طلب؟

ـ الزواج... وعمَّ كنت تحسبيني أتكلم؟

هزت رأسها من جديد:

ـ لم يعد الأمر يهم، فأنا أعرف سبب اقتراحك هذا... فأنت كما يقول الجميع، مستقيم، شريف، تأبى الأذى لأي كان. لكن أن تكون على علاقة ما لا يعني اضطرارك للزواج مني.

كانت عضلات جسده تحت ملمس يديها تزداد توتراً اثناء تكلمها حتى أوشك على أن يدفعها بعيداً عنه، فقد استقام في جلسته وأمسك كتفيها:

ـ اضطر للزواج منك؟ أنا أطلب الزواج منك! لكن يبدو أن عقلك مريض تعب فلم يفهم ما قلت. لذا سأضطر إلى إجبارك على الزواج مني... حالما تنتهي الترتيبات... هل فهمت الآن؟

قلبها كان يطل من عينيها وهي ترفعهما إليه:

ـ لقد فهمت... أيها الرئيس.

ردها الشيطاني... أشعل فيه نار الحب... فألقاها على الأريكة قبل أن تعرف ما يريد أن يفعل... ومال فوقها... فارتجفت، ونظرت حولها:

- ليس هنا...

- منزل من هذا؟

- منزلك.

- بل منزلنا والآن يا امرأتي... تعالي بين أحضاني.

أطاعته بخجل. قال بصوت ناعم:

- حبي... يا حبي الوحيد... سأحبك أنت ولن أحب سواك حتى الأبد.

كانت النار الهادرة في جسديهما تقربهما معاً... في هذه اللحظات شعرت به يحبها كما تحبه، تشتعل نيرانه وتتوهج كما تشتعل نيرانها تماماً.

همس في أذنها بلكنته التي أحبتها:

- إنك محبية وجميلة جداً، يا زوجتي الطيبة الصغيرة.

ضغطت كأس جبهتها على صدره، ثم رفعت رأسها... واشتدت ذراعاه أكثر عليها وكأنما ليطمئن أكثر إلى وجودها. فصرخت بنفس لكنته:

- أوتش... لقد أوجعتني...

نظرت إليه... وانفجرا بالضحك.

●●●